الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

العدد (١٣١)
نيسان ١٩٩١
- السنة الثانية عشرة -
No. (131) April 1991

- قراءة ديمقراطية في واقع الحال. حساب الربح والخسارة الفلسطيني.
- السلام الامبركي المفروض. الصراع العربي - التركي على مياه الفرات.
- مصلحة من تحويل الأصدقاء والأصدقاء الى أعداء.
- صدام حسين - ام المعارك - المنتائج والأسباب.

Digitized by Birzeit University Library

هدم منزل بحجة عدم الـ

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الانسانية والتقدم

العدد (١٣١) نيسان ١٩٩١ - السنة الثانية عشرة - No. (131) April 1991

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al - As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02) 856931

رئيس التحرير المسؤول
اسعد الاسعد

هذا العدد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

- قراءة ديمقراطية في واقع الحال. اسعد الاسعد..... ٢
- آفاق العمل لما بعد الحرب. غسان الخطيب..... ٥
- السلام الاميركي المرفوض. عدنان الكاشف..... ٨
- لمصلحة من تحويل الاصدقاء والمحايدين الى اعداء. د. اسعد عبد الرحمن..... ١٢
- صدام حسين - ام المعارك - النتائج والاسباب. د. محمد اسعد..... ١٨
- قائمة باسماء شهداء الشهر الاربعين للانتفاضة..... ٢٣
- الصراع العربي - التركي على مياه نهر الفرات. احسان مصطفى..... ٢٤
- تساؤلات موجهة.. الى كل من يهمه الامر. حسين عباس..... ٣١
- نجاتي صدقي: حياته وادبه (١٩٠٥-١٩٧٩). فايز منصور..... ٣٣
- قراءة مع الاستاذ يعقوب الاطرش في "وتستمر الحياة". خالد بطراوي..... ٣٧
- المسرح الفلسطيني وحداثة التكوّن. جواد الاسدي..... ٤٤
- السينما الجيدة تخلق جمهورا جيدا. بندر سلطان..... ٤٨
- قصص قصيرة. تيسير عبد العزيز، غريب عسقلاني، موشيه شيلانسكي..... ٥١
- شعر. محمد دلة، ماجد ابو غوش..... ٥٤
- الحرية اشتراط الابداع. وسيم الكردي..... ٥٦

لوحة الغلاف للفنان الفلسطيني جمال الافغاني

اول الكلام

لكل امة صفوة وطليعة، ولا يمكن للامة العربية ان تشذ عن القاعدة، وطليعة الامم وقادتها، هم علماؤها ومفكروها، واذا ثبت هذه الحقيقة عن الانظار، فلا شك في ان للمسألة اسباب، منها ما هو ذاتي يتعلق بهذه الطليعة، ومنها ما هو غير ذلك، واعني بما هو موضوعي، ما يتعلق بجملة الظروف المحيطة، والتي لا حول لنا ولا قوة حيالها، غير ان ما يتعلق بالاسباب الذاتية، يمكن معالجته، اذا ما عزمنا امرنا.

وحتى ندخل في المرحلة المطلوبة، لا بد من الاشارة الى الدور الهام، الذي يجب ان تلعبه هذه الفئة الطليعية، ولنبدأ بانفسنا، نحن الشعب الفلسطيني، بحوار ديمقراطي، تطرح فيه الاجتهادات، مهما اختلفت وتعددت، على ان يكون شعارنا، احترم رأيي، احترم رأيك.

المحرر

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٧٥	١٠٠
للمؤسسات	٥٠	١٥٠	٢٠٠

القدس - هاتف: ٠٢/٨٥٦٩٣١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

Digitized by Birzeit University Library

قراءة ديمقراطية في واقع الحال

اسعد الاسعد

اذا كان لا بد من تسمية الامور باسمائها، فان علينا ان نطلق على ما حدث في الخليج، زلزال، والزلازل حين تقع، تحدث دمارا هائلا، وتصدعات «الفوقأرضية»، غير انها ومن جانب آخر، تفجر الينابيع، وتقذف الارض بمكنوناتها، من هنا، من الممكن ان نجعل هذا «الزلزال» منعطفا مهما، في واقع الامة العربية، اذا ما تم توظيف المتغيرات التي احدثها هذا الزلزال، بشكل جيد، وبواقعية، ومعالجة تختلف عن نهجنا الذي تعودنا عليه في السابق، وبروح ديمقراطية ونقدية، بعيدا عن العواطف، والتحلل من عقدة الخوف.

وحتى لا اطيل في التقديم للدخول في الموضوع، اشير الى القضية المركزية، التي عادت لتحتل مكان الصدارة من جديد، في سلم اهتمامات العالم، واعني القضية الفلسطينية، ولعل ما اشير في الصحافة المحلية، وكذلك في بعض الصحف العربية، من قضايا خلافية، تدفعني الى الخوض فيها انطلاقا من فهم ما فرضه «الزلزال»، الذي اصابني انا ايضا، كما اصاب الآخرين.

وحتى نحدد مسار النقاش، افترض اننا متفقون على جملة من الحقائق الثابتة، ولكن من جانب آخر، وحتى نستطيع الوصول الى ما نسعى اليه، يجب ان يكون لدينا الآلية المناسبة، وهنا تحديدا يقع الخلاف، البعض يطلق على هذا الخلاف مسميات لا يحتملها، والبعض يسميها «اجتهادات»، ولا شك في ان التسمية الاخيرة، هي الاقرب الى الموضوعية، اذا كنا فعلا، نتمسك بالديمقراطية، شعارا ومنهجا، فالحكومة الاسرائيلية، طرحت ما يعرف بـ «مبادرة شامير»، هذه المبادرة، رغم معارضتنا لها - كونها لا تتضمن الحد الادنى من مطالبنا، ولا تلبي الشروط الاساسية، لاقامة سلام عادل يضمن لنا حق تقرير المصير، واقامة دولتنا المستقلة - الا انها تتضمن آلية ترتكز على اجراء انتخابات في الاراضي المحتلة، الهدف منها خلق قيادة بديلة لمنظمة التحرير، ورغم رفضنا لهذه المبادرة، وادراك الاسرائيليين بمن فيهم رئيس الوزراء اسحق شامير، لاستحالة نجاح مبادرته، الا ان ذلك، يجب ان لا يمنعنا من الاعتراف بأن المبادرة طرحت افكارا مرفقة بالية.

من جانب آخر، وفي المقابل، فان

Digitized by Birzeit University Library

مبادرتنا الفلسطينية، عبرت عن مفاصل اساسية لعملية السلام - حق تقرير المصير، دولة فلسطينية مستقلة - واما اليتنا لذلك، فقد كان ولايزال المؤتمر الدولي.

وهنا تحديدا، يجب ان نتوقف، فالمتغيرات التي احدثها «الزلزال» تدفعنا الى التوجه بقضيتنا اتجاها يضع الطرف الاخر، امام امتحان يجعل الخروج منه غير سهل، ولعل ما اشرت اليه في بداية حديثي، والمتعلق بحسن توظيفنا واستغلالنا لما حدث، يتعلق بعضه بما يعرف اليوم بـ «الشرعية الدولية»، عبر مجلس الامن، وهذا تحديدا ما يجب الانتباه اليه، في توجهنا الجديد لحل قضيتنا على اسس ثابتة، وبآلية جديدة.

ربما يقول قائل، ان شامير والاسرائيليين عموما، يراهنون على الوقت واضاعته، لخلق وقائع جديدة، تفرض صورة الحل، على النحو الذي يريدون، وقد يكون هذا صحيحا، كما انهم نجحوا في ادارة اللعبة طول الوقت وحتى الان، ولكن، اليس من شروط اللعب، والفوز، ان يدرك كل لاعب اسرار ومرامي خصمه؟!، فان كانت هذه الاسس، هي التي تشكل اساس لعب الخصم ومراهناته، فلماذا لا نقطع الطريق عليه، اذا كنا قبلنا مبدأ اللعب؟!، ونحن بلا شك قبلناه، فاما ان نرفض مبدأ اللعب جملة وتفصيلا، واما ان نقبله - ونحن قد فعلنا - وعلينا ان نواصل الى آخر الشوط

لقد سعينا في السابق ولانزال، للحوار مع الولايات المتحدة، واشتطنا غضبا حين علقت الاخيرة هذا الحوار، مع اداركنا التام، بأن الادارة الاميركية، لن تعطينا شيئا لا توافق عليه اسرائيل، ولا اظنني اخطىء حين اشير الى ان منظمة التحرير، سعت الى رضا الادارة الاميركية، طمعا في الضغط على اسرائيل، ومع اننا خلعنا آخر قطعة تستر عورتنا - يعنعني الحياء من ذكر اسمه الحقيقي - الا ان الادارة الاميركية وكذلك اسرائيل، لم ترض بنا، ولم تحظ منظمة التحرير بشيء مما تطمح اليه، ومع ذلك، لم تفقد قيادة منظمة التحرير، الامل في كسب جزء من ود الادارة الاميركية.

من جهة،انا لست ضد اقامة علاقات طيبة، بين منظمة التحرير والادارة الاميركية وكذلك الفرنسية والانجليزية وحتى مع جزر سيشل، ولكني ضد ان يتحول هذا الحوار، الى هدف بحد ذاته، بدون مضمون او معنى، تماما مثلما اشرت اليه في حينه، «حوار طرشان».

وبرأيي، ان جزءا مهما، يتعلق بالديمقراطية نفسها، وتقييد انفسنا بسلاسل «الخطوط الحمراء»، والممنوعات المتعددة، في تعاملنا مع انفسنا، من جهة، والممارسة غير الديمقراطية لطروحاتنا والمسائل الخلافية بيننا من جهة اخرى، فبعد ربع قرن من النضال والعمل الفلسطيني، الا يحق لنا ان نقيم تجربتنا، ابتداء من ٦٧، وايلول ٧٠، وحرب اكتوبر ١٩٨٣، والتجربة الفلسطينية في لبنان، والخروج من بيروت عام ١٩٨٢، وما اعقبها من انقسامات داخل الجسم الفلسطيني، واخيرا الانتفاضة التي نعيشها منذ ثلاث سنوات ونصف، وما خلفته حرب الخليج؟!، اليس من حقنا ان نتساءل عما حدث خلال ربع القرن هذا، اليس من حقنا نحن الذين نعيش الاحتلال حتى العظم، ان نرفع صوتنا عاليا - من شدة الوجع- ليتوقف الفساد والافساد الذي يعشعش في كثير من «الدكاكين الوطنية» في الاراضي المحتلة وخارجها؟!، ام ان الوقت لم يحن بعد، والظروف غير مواتية، كما نتذرع دائما؟!، الا نخشى اذا قام شهداؤنا من قبورهم، ورأوا هذا الحال، ان يقولوا، ليس من اجل هذا استشهدنا؟!، اليس من حقنا ان نسأل فصائلنا جميعا، عن مصير الوحدة الوطنية الحقيقية، وكيف يمكن ان تتحقق في ظل الانقسامات «الاميبية» للفصيل الواحد؟!، ولا داعي للخوف والحذر، فنحن نصفي خلافاتنا على قارعة الطريق احيانا.. وفي هذا الصدد، قد يفاجأ البعض اذا قلت، انني وفي معرض محاولة للبحث في التنظيمات الفلسطينية، اكتشفت ان عددها يتجاوز السبعة عشر فصيلا، وربما كان الامر صحيا، لولا ان كل واحد من هؤلاء يعتبر نفسه المؤمن الوحيد، وان الاخرين كفرة.

من هنا ايضا، يجب التوقف عند الرأي القائل، بان الوقت لم يحن بعد لانتقاد قيادة منظمة التحرير، بدعوى ان ذلك اسهاما في الحملة على المنظمة نفسها، وبرأيي ان ذلك ايضا اجتهاد يجب احترامه، اما اذا خرج احدهم، وطرح تحفظات على موقف قيادة منظمة التحرير، والطريق التي عالجت القيادة الفلسطينية وكثير من المسؤولين الفلسطينيين الازمة، فهو ايضا اجتهاد يجب ان نحترمه، وبرأيي ان الديمقراطية، تستدعي الاستماع الى الرأي والرأي المضاد، والا وقعنا ثانية في مصائب الحزب الواحد، والراي الواحد، والقائد الواحد ... الخ.

هناك مسلمات يجب التعامل معها بما يشبه القدسية، كما قلت. اما القيادات، والاشخاص، والنهج، فهي امور يجب ان نضع حدا لتعاملنا معها وكأنها فوق النقد، يجب ان يضعنا «الزلزال»، امام نهج جديد في التفكير، اقله الكف عن «والربط المقدس» بين المؤسسة وقياداتها، بشكل ميكانيكي، وحتى نؤكد ديمقراطيتنا فعلا، علينا اولا ان نتخلص من عبادة وتقديس الفرد، ومن ثم عدم السماح لهذا الفرد، ايا كان، بالهيمنة على القرارات.

ولعل ما طرح على صفحات الجرائد المحلية، من اراء، ومن ثم ما اعقب ذلك من اتهامات، تفتقر الى الاسس الموضوعية

Digitized by Birzeit University Library

للتعامل الديمقراطي، اذ ان هناك الكثيرين ممن يختلفون مع قيادة منظمة التحرير، لكنهم يتمسكون بالمنظمة نفسها وبالمسلمات المقدسة الاخرى، وهم وطنيون، ولا احد يستطيع المس بوطنيتهم، لمجرد تحفظهم على موقف هنا، وسلوك او نهج هناك، طالما بقيت الامور في اطارها الوطني، وفي اطار المصلحة العامة، وتلك برأيي بعض سمات الديمقراطية الحقة، التي نتمسك بها، ونحرص عليها ايما حرص، ونطالب بتكريسها.

من هنا يجب ان نفهم، حق كل فلسطيني وطني متمسك بالمنظمة وبحق شعبه في تقرير مصيره واقامة دولته ... الخ، في الانتقاد، وطرح اجتهاداته، ومن هنا ايضا، يجب ان نتفهم ما يطرحه البعض اليوم، من ضرورة طرح مبادرة فلسطينية، تتحدد من خلالها آلية تنفيذ هذه المبادرة، اذ ان المبادرة الفلسطينية تحدد الاسس التي يجب ان يتضمنها الحل، ولكنها لا تطرح آلية التنفيذ، هناك اصوات تطالب بالتوجه الى مجلس الامن وهيئة الامم، للقيام بالاشراف على انتخابات حرة وديمقراطية في الاراضي المحتلة، لاختيار مجلس وطني، «مئة او مئة وخمسون او مئتنان»، ومن ثم يقوم هذا المجلس المنتخب، بالاعلان عن نفسه، قيادة محلية، تتمسك بالسياسة العامة التي طرحتها منظمة التحرير، ومن ثم ينتخب هذا المجلس قيادة محلية، من عشرة او اثنى عشر عضوا، يمثلون ما يشبه الحكومة المحلية المؤقتة، او الانتقالية، تأخذ على عاتقها تسيير الامور الحياتية المختلفة للمواطنين، وخوف ان يقول قائل، ان هذه دعوة لتجاوز منظمة التحرير، اؤكد على ان هذه «القيادة المحلية»، ستكون مجرد القيادة التنفيذية محليا، او بمعنى آخر، حكومة ظل، مع التأكيد على ان هذه الاجراءات، سوف تتم تحت غطاء «الشرعية الدولية»، واعني مجلس الامن والامم المتحدة، واوهانا في توضيح الصورة، اتساءل، اذا كان «الفريق الفلسطيني»، الذي التقى بيكر والمسؤولين الاوروبيين، يقوم بذلك بناء على تعليمات واضحة من منظمة التحرير، فلماذا لا نتوجه الى مجلس الامن، لتكليفه برعاية انتخابات ديمقراطية تحت اشرافه لانتخاب هذا الفريق؟!، اذ انني حقا لا ادري كيف يتم اختيار هذه الشخصيات، وعلى اية اسس، ولماذا هؤلاء بالذات؟! وهل هؤلاء هم العنوان الصحيح، للقيام بهذه المهمة؟!، اسئلة كثيرة تطرح في الشارع ولا تجد جوابا.

وان كان هناك من يعترض على التوجه الى مجلس الامن للاشراف على هذه الانتخابات، فانني اقترح، ان تتوجه بعثة من مجلس الامن الى المعتقلات والسجون، وان يناط بالمعتقلين الفلسطينيين مهمة اختيار هذا المجلس، ولا اظن ان هناك احدا يطعن بوطنية هؤلاء، وولائهم، كما اعتقد ان ليس هناك من هو احق منهم في الانتخاب.

ان التوجه الى مجلس الامن، وفق خطة واضحة، من شأنها ان تضع الطرف الاخر - الاسرائيلي - امام حقائق لا يجد مناصا للتعامل معها، والرد عليها، واذا كنا نلتقي عند المسلمات التي اشرت اليها في السياق - ونحن كذلك فعلا - فيجب ان نتلمس طريقنا، وسط هذه اللجاجة، والوقائع التي يفرضها واقع الحال

«الكاتب»

للدراسات والابحاث

تتوجه ادارة مجلة «الكاتب». الى الزملاء الكتاب والباحثين والاكاديميين في وطننا، وفي الخارج، بتزويدنا بابحاثهم ودراساتهم، حيث اننا بصدد اصدار ملحق مجلة الكاتب، للبحوث والدراسات، بشكل فصلي ومحكم. آملين في تعاونكم. لاصدار الملحق المذكور في الوقت المحدد، وبالشكل والمضمون اللائقين بمجلة «الكاتب» وبالزملاء الكتاب.

هيئة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

حساب الربح والخسارة الفلسطيني من حرب الخليج

وافاق العمل لما بعد الحرب

غسان الخطيب

انتهت حرب الخليج لتترك وراءها اثارا كبيرة على المستويات العربية والدولية والفلسطينية، ولتفتح الباب على مصراعيه لمرحلة جديدة تحمل في طياتها عوامل غاية في الجدة والتعقيد. وبالرغم من العديد من النتائج السلبية سياسيا مثل الاخلال بالتوازن بين العرب والمصالح الغربية واسرائيل والدمار الشامل الذي ادت اليه. الا ان هناك نتائج ايجابية لا بد من ملاحظتها وعوامل قوة جديدة يحسن تحديدها من الان، لكي نستطيع كفلسطينيين خوض المعركة السياسية في مرحلة ما بعد الحرب.

كرست الحرب حقيقة ان استمرار المشكلة الفلسطينية شكل ويشكل عامل عدم استقرار في المنطقة، وان الاستقرار السياسي وتجنب حروب اخرى في الشرق الاوسط، يقتضي ضمن امور مختلفة حل القضية الفلسطينية. وغني عن القول ان اي محاولة جادة لحل هذه الازمة تتطلب التعامل مع العامل الفلسطيني وتحديدا الموافقة الفلسطينية، الامر الذي يعطي عامل قوة للمرحلة المقبلة.

اضافة الى ذلك فان نجاح الصواريخ العراقية في الوصول الى تل ابيب وغيرها اضعف من ناحية نظرية الامن القائم على

Digitized by Birzeit University Library

الحدود الذي تستخدمه اسرائيل كذريعة لاقناع العالم بضرورة استمرار احتلالها، ومن ناحية اخرى اوصل عديدين الى الاستنتاج بان نظرية التفوق العسكري وان كانت قادرة على المحافظة على بقاء اسرائيل الا انها غير قادرة على تامين سلامة الاسرائيليين.

ومن العوامل المساعدة الاخرى انه وبالرغم من الموقف العدائي الظاهر لبعض الانظمة العربية تجاه القيادة الفلسطينية، الا ان نجاح العراق النسبي في الافادة من الورقة الفلسطينية، يشجع بعض هذه الدول على محاولة تجريد اي خصم في المستقبل من امكانية استخدامها.

يضاف الى ذلك امعان بعض الدول العربية في التحالف مع الولايات المتحدة التي تنظر الجماهير اليها كعدو رئيسي للعرب، وما رافق ذلك من تململ شعبي عربي سوف يزيد من حوافز هذه الدول، لمعادلة ذلك ببعض الجهد من اجل ايجاد حل لهذه المشكلة، خصوصا وان المعالجة السريعة لاحتلال العراق للكويت، عزز من عقدة الشعور بالذنب في العالم العربي تجاه القضية الفلسطينية.

ونضيف الى كل ذلك ان الذريعة التي عرضت بعد مبادرة بيكر والتي مفادها ان المعارضة اليهودية في اميركا ومعارضة الكونغرس لسياسة الادارة الاميركية، ووصل الصدام الذروة عندما قال بيكر ان المعنيين يعرفون رقم هاتفه في حال استعدادهم للتجاوب، هذه الذريعة لم تعد قائمة، اذ ان الادارة الاميركية الان وحتى الانتخابات القادمة، ليست بحاجة الى دعم اليهود، وان القوة التي حصل عليها بوش تمكنه اذا اراد الضغط على اسرائيل.

واخيرا فان الوضع الذي كان موجودا من قبل ازمة الخليج للشعور الى الحاجة الى لحل القضية الفلسطينية وهو الانتفاضة، ما زال قائما وساري المفعول فبالرغم من بعض التراجعات المؤقتة اثناء حرب الخليج بسبب جسامة الاجراءات الاسرائيلية، وجسامة احداث الخليج وانتقال الاهتمام الدولي، الا ان هناك من المؤشرات ما يكفي للاعتقاد بانه مع انتهاء ازمة الخليج بدأت الانتفاضة تعود الى سابق عهدها كعامل فاعل ومؤثر على اي عملية سياسية.

ان مجمل هذه العوامل والمستجدات يشير الى ان المرحلة المقبلة سوف تتسم بمحاولات اكثر جدية من ذي قبل، لايجاد حل للصراع العربي - الاسرائيلي، ولكن وهذا هو الامر المهم، ان هذه المحاولات قد لا تقصد حلا من النوع الذي يلبي الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بل قد تهدف الى ايجاد حل ينهي هذه المشكلة، من دون ان يكون متلائما مع المصلحة الفلسطينية. الامر الذي يؤكد وجود عوامل ضعف تجدر الاشارة اليها.

وابرز واهم العوامل السلبية التي جاءت بها نتائج حرب الخليج هو الاخلال بميزان القوى في المنطقة لصالح اسرائيل والسياسة والمصالح الاميركية في المنطقة، الامر الذي يقلل من التنبه الى المصالح العربية والفلسطينية في التفكير الاميركي والعربي عموما. ومن العوامل الاخرى في هذا المجال، التراجع في تعاطف الراي العام الغربي تجاه الفلسطينيين وبشكل خاص "م.ت.ف" بسبب الموقف الفلسطيني الرسمي والشعبي من ازمة الخليج، حيث نجحت بعض وسائل الاعلام الاسرائيلية والغربية، في خلق انطباع لدى قطاعات من الراي العام، بان تاييد "م.ت.ف" للعراق هو تاييد لاحتلال الكويت، الامر الذي يقلل من مصداقيتها في النضال ضد احتلال اسرائيل لارضها. وتجدر الاشارة هنا الى ان عدم نيل مجهود فلسطيني كاف في اظهار التمايز بين تاييد "م.ت.ف" للعراق في مواجهة الحشد العسكري، ولاحقا الحرب العدوانية، وبين عدم تاييد "م.ت.ف" لقيام العراق باجتياح الكويت. كما لم يبذل جهد كاف لابراز الرؤية الفلسطينية لحل ازمة الخليج، والتي كانت تتضمن بالضرورة انسحاب العراق من الكويت.

اضافة الى ذلك يجب الانتباه الى الضرر الذي خلفته نتائج الحرب على الروح المعنوية للفلسطينيين خصوصا في المناطق المحتلة، وقد اخذ هذا الضرر طابعا حادا بسبب الامال والتوقعات غير الواقعية التي غذي بها الجمهور الفلسطيني من قبل الاعلام، وكذلك من قبل بعض تصريحات صدرت عن مسؤولين فلسطينيين، هذه الامال المبالغ فيها ادت الى شعور بالصدمة عند ظهور النتائج الحقيقية لهذه الحرب، ولد شعورا بالاحباط والذهول.

ويرتبط بهذه النقطة ايضا ان تشجيع تعليق امال على منقذ خارجي للفلسطينيين، اضر ايضا باحد ابرز مكتسبات ومعالم الانتفاضة وهو الاعتماد على الذات وان الحل يجب ان يعتمد على الانجاز الذي يجب ان يحققه النضال الفلسطيني مقابل بناء الامال والاتكال على الدعم الخارجي، وبالذات العربي، الامر الذي كان عليه الحال قبل الانتفاضة، والذي بدا يعود الى ذلك الحال مع ازمة الخليج.

من ناحية اخرى مكنت هذه الحرب وملابسات الموقف الفلسطيني منها اليمين الاسرائيلي من تقوية مواقعه بشكل لم يسبق له مثيل. فباستخدام عوامل سياسية وسيكولوجية نجحت الحكومة الاسرئيلية بتوحيد الشعب الاسرائيل خلف الاقنعة الواقية من الغازات، وفي داخل الغرف محكمة الاغلاق، وشل ذلك النقاش الذي كان دائرا قبل الازمة والحرب حول من هو المسؤول عن اعاقة جهود السلام في المنطقة.

Digitized by Birzeit University Library

وعلى الصعيد الاسرائيلي ايضا جعلت ملابسات الحرب ونجاح وصول الصواريخ العراقية اسرائيل اقل عرضة وقابلية للتاثر بالضغوط الخارجية بسبب التعاطف، الذي على الاغلب سيكون مؤقتا، ذلك ان الحرب عززت الصورة التي كانت اسرائيل دائما تحاول ان تتبناها وهي انها دولة صغيرة محاطة بالاعداء الذين يريدون تدميرها وبالتالي فهي مضطرة للتعنت واخذ الحيطة وعدم الثقة بعروض "سلام من جيرانها بما في ذلك الفلسطينيين.

من كل ما تقدم يظهر جليا اننا على اعتاب مرحلة سياسية جديدة حساسة وخطيرة ابرز سماتها: اولا بروز عوامل جديدة لم تكن تحسب لصالح الفلسطينيين. وثانيا بروز عوامل اخرى هي في غير صالح الفلسطينيين، وثالثا ظهور نية قوية لحل المشكلة الفلسطينية وليس بالضرورة حلا عادلا، ورابعا ان المرحلة القادمة ايضا ستتسم بممارسة ضغوط على احد الطرفين او كلاهما، وخامسا ان المرحلة القادمة تتميز بمواقف ومواقع جديدة للدول المعنية، تختلف عما كانت عليه فسورية اليوم ليست سورية الامس وينطبق هذا على الاردن والعراق والاتحاد السوفياتي وحتى الولايات المتحدة، من حيث الوزن والتاثير والموقف السياسي.

ان كل ذلك يقود الى الاعتقاد بان هناك حاجة لتطوير الاداء السياسي الفلسطيني ليكون متناسبا مع تعقيد ودقة المرحلة القادمة واول ما يتطلعه ذلك هو تحديد اهدافنا للمرحلة المقبلة بدقة كما يلي:

اولا: التمسك بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وعلى راسها حقه في تقرير مصيره واختيار ممثليه.

ثانيا: محاولة احراز مكاسب على صعيد التقدم نحو حل سلمي للقضية.

ثالثا: محاولة تجنب الوقوع في منطقة التعرض للضغط الخارجي، ومحاولة جر الخصم لان يكون هو معرضا للضغط.

رابعا: الخروج من العزلة السياسية النسبية.

خامسا: ضمان استمرار الانتفاضة والوحدة الوطنية وهذا هو اكثر الاهداف اهمية خصوصا ان من اكبر المخاطر التي من الممكن ان تهدد وحدانية تمثيل "م.ت.ف" للشعب الفلسطيني تكمن في محاولات شق وحدة الصف الفلسطيني.

وكي ننجح في تحقيق اكبر قدر ممكن من هذه الاهداف فانه يجب اخذ النقاط التالية بجدية متناهية:

يجب ان يتم وضمن اطار "م.ت.ف" مراجعة نقدية على المستويات الرسمية والشعبية لمجمل الاداء السياسي الفلسطيني اثناء ازمة الخليج لاستخلاص العبر الملائمة وفي هذا السياق تجدر الاشارة الى الفجوة بين الموقف الرسمي للتوازن تجاه الازمة وبين طبيعة ما كان يطرح لوسائل الاعلام، كذلك عدم التمييز بين تاييدنا للعراق في مواجهة وتحدي العدوان، وبين عدم موافقتنا على ضم الكويت، اضافة الى المساهمة في بناء امال غير واقعية حول النتائج المحتملة للحرب.

بما ان المرحلة القادمة قد تكون مرحلة البحث عن حلول، فقد ان الاوان للاهتمام بتطوير اهدافنا السياسية بحثا عن مزيد من الوضوح والتحديد مع اكبر قدر من تلاقي المواقف الفضفاضة، ولعل المؤشر على ذلك اننا نطالب بدولة لم تحدد حدودها رسميا حتى الان او علاقاتها مع جيرانها مثلا وبالتالي فان اكبر انسجام ممكن مع الشرعية الدولية مع عدم التنازل عن اي من حقوقنا المشروعة هو احد ابرز عوامل القوة للمرحلة القادمة.

اخذ زمام المبادرة السياسية وتجنب التواجد في موقع نضطر فيه للاستجابة الى مبادرات الغير، وذلك ليس فقط فيما ينطبق بالاهداف العامة بل التطرق ايضا لاليات ومراحل الحل بشكل عملي وملموس، وتجنب الانجرار وراء بحث المسائل الشكلية كما حدث عندما طرحت مبادرة بيكر، ومحاولة جر الاخرين الى الجوانب الجوهرية في الصراع وبالتحديد مبدأ الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

تعزيز الطابع الديمقراطي والجماعي في العمل السياسي الفلسطيني واشراك الجماهير في اتخاذ القرار واشراك الاطر القيادية في العملية السياسية، فتباعد اجتماعات اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي والمجلس الوطني هي بعض الظواهر السلبية التي تساهم في ابقائنا في اخطاء يمكن للعمل الجماعي ان يجنبنا اياها. وعليه فان اعطاء منظمة التحرير في داخل المناطق المحتلة، دورا حيويا في العملية السياسية يساهم في تقويتها واعطائها امكانات واسعة للمناورة والمرونة، وقد يتطلب ذلك اخذ مبادرات في اتجاه تفعيل العملية الديموقراطية في سياق بناء اجهزة منظمة التحرير بما في ذلك في الاراضي المحتلة، الامر الذي من شانه اما ان يطور العمل او يحرج السلطات الاسرائيلية اذا هي اعاقت ذلك.

التعامل مع النقاط السالفة الذكر بروح من التسامح مع الراي المقابل، وبديمقراطية تكفل التوصل الى افضل استنتاجات وكذلك المحافظة على وحدتنا وهي عماد انجازاتنا الوطنية.

واخيرا وحتى تكون في منتهى الصراحة فان نتائج المعركة السياسيا المقبلة وفق ملامحها ومهماتنا تجاهها الواردة اعلاه، يعتمد اكثر من اي وقت مضى، على مستوى النضوج في ادارتها، الامر الذي يضع على كاهلنا جميعا عبئا، ومسؤوليات لها ما بعدها.

Digitized by Birzeit University Library

"السلام" الاميركي المرفوض

عدنان الكاشف

منذ ان حزمت الولايات المتحدة الاميركية امرها في حل ازمة الخليج عسكريا، سخرت كل امكانياتها داخليا وعربيا ودوليا لخدمة هذا الامر، واخذت تتحرك على اكثر من صعيد لتجمع حولها وحول سياستها اكبر حشد دولي ضد دولة نامية، مستهدفة فرض سيطرتها على العالم اجمع، ومستفيده من انتهاء الحرب الباردة والتي رأت كنتيجة لها، انها سيدة العالم الاولى بدون منازع، وهي لهذا اقدمت على كل شيء ممكن وغير ممكن من اجل تتويجها كقوة اولى ليس فقط، من ناحية القوة العسكرية، وانما من جميع النواحي الاخرى اقتصادية وسياسية واجتماعية وعلمية و.. و...الخ.

وحتى تضمن هذه المهمة وتحقيقها على اكمل وجه، جعلت كل دول اوروبا الغربية تسير خلفها، بالرغم من بعض التناقضات الثانوية التي كانت تظهر هنا او هناك، ولكن المحصلة النهائية كانت فرمانا اوروبيا بتخويل الولايات المتحدة الذود عن مصالح اوروبا في المنطقة العربية، وخاصة الخليجية. واما بالنسبة لليابان، فقد ادركت الولايات المتحدة منذ زمن طويل ان عصب شريان الحياة الاقتصادية اليابانية يعتمد على نفط الخليج، حيث تستورد اليابان حوالي ٧٠٪ من حاجتها النفطية من دول الخليج، واذا كان الدستور الياباني يحرم او يمنع انتشار القوات المسلحة اليابانية خارج حدود البلاد، فقد خضعت اليابان للطلب الاميركي عن طريق تقديم المساعدة

Digitized by Birzeit University Library

المالية اللازمة لتغطية نفقات حرب الخليج. واما بالنسبة للاتحاد السوفييتي، فقد استفادت الولايات المتحدة من الضعف الاقتصادي الذي يعاني منه هذا البلد، بالاضافة الى مشاكله الداخلية المتعددة، ليس هذا فحسب، بل اخذت في ازكاء وتسعير هذه المشاكل، مما حدا برئيس الوزراء السوفييتي ان يعلن ان الغرب كان يدبر لمؤامرة او انقلاب اقتصادي في هذا البلد.

ويلخص هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركي الاسبق عن مواقف هذه الاطراف من ازمة الخليج ويكتب في "لوس انجلوس تايمز" قائلا: "ان بريطانيا سوف توافق على اتخاذ مثل هذه الخطوة (يقصد الخطوة العسكرية.ع.ك)، كذلك فان فرنسا لن تجازف في تعريض الدور الاميركي للخطر على حساب تحقيق الموازنة الاوروبية بعد عملية توحيد الالمانيتين، كذلك فان المانيا لها نفس الاهداف، حتى لو كانت لديها دوافع اخرى. اما اليابان فلن تعرض روابطها الاقتصادية مع الولايات المتحدة لاي خطر كان، وفيما يتعلق بغورباتشوف، فان الضعف الاقتصادي الذي يعيشه على الاتحاد السوفيتي يتطلب منه التركيز على شؤونه الداخلية".(١)

وهكذا، وبعد ان انتهت حرب الخليج، وبالشكل الذي انتهت اليه، وبعد ان تم للولايات المتحدة ما ارادت، اخذت مؤشرات وملامح المرحلة الجديدة بعد الحرب في الظهور، وان كانت حتى هذه اللحظات غير مرئية بالشكل الكافي، ووفق اية ظروف يمكن ان يتم تدشين هذه المرحلة، وكيف سيكون عليه مستقبل السلام في المنطقة؟

يتضح من التحركات السياسية التي اعقبت نهاية حرب الخليج، والتي ما زالت مستمرة، ان السلام الذي تسعى اليه الولايات المتحدة لا يمت باي صلة لقرارات الامم المتحدة الخاصة بهذه المنطقة، وفي مقدمتها القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية. ليس هذا فحسب، بل وتسعى الى الالتواء والالتفاف على كافة قرارات الامم المتحدة نفسها، وحتى تصريح الرئيس الاميركي في اوائل آذار الماضي الذي دعا فيه الى مقايضة الارض بالسلام، والذي راى فيه البعض بعض الايجابية، سرعان ما فسره الناطق باسم البيت الابيض مارلين فوتزووتر يوم (٣/٧) قائلا: "ان اقرار مبدأ الارض مقابل السلام الذي طرحه بوش يجب ان يكون موضع مشاورات.ويجب الا نتعجل الامور. وفي البداية نريد ان نجمع الاطراف، ولن نملي حلولا على احد".(٢)

عدم املاء الحلول على احد، يعني في الواقع العملي الابتعاد نهائيا وكليا عن فكرة المؤتمر الدولي للسلام في المنطقة، وانما دراسة كافة المشاريع والخطط التي طرحت ابتداء من اتفاقات كامب ديفيد وما قبلها مرورا بمشروع ريغن وخطة بيكر الى نقاط مبارك العشر وخطة "السلام" الاسرائيلية وانتهاء بفكرة المؤتمر الاقليمي، للخروج من كل ذلك بخطة "سلام" اميركية ترضي جميع اصحاب هذه الخطط والمشاريع، وفي غياب صاحب الشأن في هذه المسالة الا وهو الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي والوحيد م.ت.ف وبتجاهل تام لتطلعات الشعوب العربية الشقيقة.

وتلقى الولايات المتحدة التشجيع في سياستها هذه من حلفائها الاوروبيين والعرب على حد سواء، فبينما يصرح وزير خارجية المانيا هانس ديتريخ غينشر انه لا ينبغي ان نجعل المؤتمر الدولي "مسألة لاموتية"، يعلن وزير خارجية ايطاليا دي ميكاليس ان "تنظيم مؤتمر دولي غير ممكن لانه يستلزم موافقة جميع الاطراف" ويلحق بهما رئيس المجموعة الاوروبية، وزير خارجية لوكسمبورغ، جاك بوس قائلا: "بما ان اسرائيل لا تزال رافضة (لهذا المؤتمر - يقصد المؤتمر الدولي .ع.ك) يتعين اتخاذ اجراءات ثقة مثل ابرام بعض الاتفاقات الثنائية بعدم الاعتداء او الاعتراف المتبادل وبحث مسألة الحد من التسلح... وان المجموعة الاوروبية لا تعتزم تقديم خطة سلام جديدة اذ ان هناك ما يكفي من الخطط المطروحة على بساط البحث"(٣). ويتبعهم في تصريحات مشابهة الرئيس المصري حسني مبارك (الناطق الرسمي باسم عرب اميركا) عندما يعلن ان الوقت غير مناسب لعقد المؤتمر الدولي، ويطرح بديلا، باستعداد مصر لاستضافة مؤتمر اقليمي. وعندما حاول الرئيس الفرنسي اتخاذ موقف مستقل ومتميز عن السياسة الاميركية حين دعا الى عدم الكيل بمكيالين لان ذلك سيكون بمثابة اغتيال للشرعية الدولية، ودعا الى ضرورة ان يتمتع الجميع (الاسرائيليون والفلسطينيون) بحدود آمنة في ظل دولة خاصة بهم، سارع الرئيس الاميركي بعقد لقاء قمة لترويض الموقف الفرنسي، ورغم ظهور بعض الخلافات في وجهات النظر، الا ان رئيس الحكومة الفرنسية طمأن اسرائيل عبر سفيرها في فرنسا (صوت اسرائيل بالعبرية ٣/٤) بان فرنسا لن تقوم بممارسة اي ضغط على اسرائيل لتقبل بموقفها من الحل السلمي "ولكنها تتوقع من الحكومة الاسرائيلية ان تستقل الوضع الجديد في المنطقة لتحقيق السلام".(٤)

لقد اصبح واضحا، حتى للذين كانوا وما زالوا يتعامون عن رؤية الجوهر الحقيقي للسياسة الاميركية والغربية تجاه المنطقة، ان الهدف الاول والاخير للولايات المتحدة وحلفائها، هو تجريد العرب من كافة قدراتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهذا ما يستدل به ايضا من المحاولات

Digitized by Birzeit University Library

المحمومة لاميركا لاستصدار قرار مذل ومهين ليس فقط ضد العراق وانما ضد الشعوب العربية كافة، ليصبح المشروع الامني الذي تحدثت عنه سابقا الولايات المتحدة يحظى ايضا بالشرعية الدولية، كما كان الامر بالنسبة للحرب في الخليج. وفي محاولة لاخذ رد الفعل من قبل بعض دول وشعوب المنطقة بعين الاعتبار، يدلي هذا المسؤول او ذاك في اميركا او غيرها بتصريحات، تولد عند بعض الزعماء العرب الذين اعلنوا معاداتهم للولايات المتحدة، بعض الشكوك بايجابية المواقف المعلن عنها. ولعل هذا كان واضحا ايضا في ازدواجية التصريحات السياسية لزعماء الغرب عندما زاروا دول المنطقة. فتصريحاتهم في بعض الدول العربية كانت تختلف عنها في اسرائيل. فعلى سبيل المثال يعلن وزير خارجية فرنسا رولان دوما في مقابلة مع وكالة الانباء المغربية ان "فرنسا تتفهم تماما الشعور بالظلم والغضب الناتج عن المقاربة التي يجريها الرأي العام في البلدان العربية بين النزاع في الخليج وبين اوضاع اخرى لا تزال قائمة في المنطقة"(٥). ورئيس حكومة ايطاليا جوليو اندريوتي، واثناء مشاركة قواته في الحرب يعلن "لا يسعنا الا تأكيد التزامنا بالعمل بكل ما نملك من قوة من اجل حل عادل ودائم للمسألة الفلسطينية والدعوة الى مؤتمر دولي للسلام حول الشرق الاوسط"(٦). اليس في هذا التصريح لاندريوتي ما يتناقض مع تصريح وزير خارجيته الذي اشرنا اليه سابقا؟!

لقد كتب هنري كيسنجر في مقالة لمجلة نيوزويك الاميركية "رغم ان اية مفاوضات لا يمكن ان تحقق استقرارا دائما (التشديد ع.ك) لهذه المنطقة المضطربة فان الفترة التي ستعقب انتصار الحلفاء على العراق قد توفر فرصة فريدة لن تتكرر"(٧).

انن الفرصة الان ذهبية ولن تتكرر، ليقوم الجميع بفرض السلام الاميركي على العرب، ولان هذا السلام اولا مفروضا فرضا، ولا يولد استقرارا دائما، فانه بكل بساطة يصبح مرفوضا والذين يرفضونه محقين تماما في موقفهم، لسبب بسيط جدا، وهو طبيعة السلام نفسه، الذي يولد الحرب والعنف في المنطقة، وحتى يكون هذا الرفض ذا جدوى، فلا بد من تحرك جدي لافشاله، وفي هذا الاطار فان الدعوة التي اطلقها بعض الزعماء العرب، المطالبة بتناسي الماضي وفتح صفحة جديدة في العلاقات العربية - العربية، تعني تمهيد الطريق الى فرض السلام الاميركي على المنطقة، خاصة وان حرب الخليج وتواجد القوات الاجنبية التي سيظل لفترة طويلة - كما يصرح المسؤولون الاميركيون - تدخل ضمن تحقيق المشروع الامني الذي تحدثت عنه واشنطن وحلفاؤها اثناء الحرب وبعدها، كما وان الدول العربية التي وقفت الى جانب الولايات المتحدة في حربها ضد العراق، كانت ولا زالت تمسك بزمام المبادرة، وهي التي ساعدت في شق الصف العربي وعملت على خلق المحاور، واذا كان هناك ضرورة لاعادة وحدة الصف العربي، فلا بد ان تقوم على اسس واضحة وصريحة اولها انسحاب القوات الاجنبية من منطقة الخليج وتحقيق قرارات الامم المتحدة والشرعية الدولية فيما يتعلق بالمشاكل الاخرى التي تعاني منها المنطقة.

ان تحقيق وحدة الصف العربي، يعتمد في الاساس على كافة القوى الوطنية والجماهيرية والاحزاب السياسية والتنظيمات الاجتماعية والنقابية والتيارات الدينية وغيرها، وهذا يتطلب منها اعادة النظر في كل برامجها ونشاطاتها، والعمل على طمس الهوة او الفجوة بينها وبين الجماهير الشعبية العريضة. ان المظاهرات التي اجتاحت بعض الدول العربية اثناء الحرب، والتي رفعت خلالها صور صدام حسين، كانت تعبر عن عدم رضا الجماهير العربية وغضبها على الولايات المتحدة. ان احدى المهمات الاساسية التي يمكن ان تقوم بها هذه القوى والحركات هي اقامة لجان شعبية في كل مكان وحي وشارع في ارجاء الوطن العربي ، والبدء بحملة شعبية واسعة لجمع الاموال لاستعادة تعمير العراق بالسرعة الممكنة. ان حرب المدافع والصواريخ التي انتهت في ٢٨ شباط، فتحت الطريق لحرب جديدة تشنها الولايات المتحدة باسم السلام ليس فقط ضد العراق وانما ضد الامة العربية برمتها، وهذه الحرب تتطلب حشد كافة القوى الشعبية في سائر اقطار البلدان العربية. ان عداء الولايات المتحدة للعرب، يجب ان يقابله عداء مطلق من جانب العرب تجاه الولايات المتحدة الاميركية ومن يعمل على تسويق سياستها في المنطقة. ان العداء الاميركي للعرب وفرض السلام عليهم، جعل الامين العام للامم المتحدة يحذر من عواقبه حين قال في مقابلة مع شبكة التلفزه الفرنسية (تي.اف. واحد) يوم ٣/١٠: "ان سلاما اميركيا لن يعجبني كثيرا... اعتقد بان هذه المنظمة هي منظمة للامم المتحدة حيث لجميع الدول ان تقول كلمتها. اذا كنا نتحدث عن سلام اميركي فهذا يعني في اذهان الناس انه سلام مفروض، انا مقتنع بان رئيس الولايات المتحدة ليس في ذهنه سلام اميركي، ولكن سيكون امرا غير مقبول وعودة الى السلام الروماني الذي كان بالتأكيد ديكتاتورية دولية"(٨). واذا كانت اللباقة الدبلوماسية تحتم على الامين العام ان يعرب عن قناعته بان رئيس اميركا ليس في ذهنه سلام اميركي، فهذا شأن خاص به، ولم يعكس بالتأكيد حقيقة ما يدور في خلده، خاصة وان الرئيس نفسه اعلن عن استعداده

Digitized by Birzeit University Library

للتدخل شخصيا لاقامة مثل هذا السلام وهذا يذكرنا بما قام به سابقا الرئيس كارتر، واخرج اتفاقات كامب ديفيد. ان كل الخطوات السياسية تشير الى ان الولايات المتحدة تريد اقامة دكتاتورية دولية ليس فقط في منطقة الشرق الاوسط، بل وفي العالم اجمع.

لقد كنا من بين الذين اشاروا الى ان ازمة الخليج قد وضعت العالم العربي والمنطقة بأسرها على مفترق طرق، ولن تعود الى ما قبل الثاني من آب ١٩٩٠. واليوم وبعد حرب الخليج اصبح هناك طريقان لا ثالث لهما اما ان ينجح مشروع "السلام" الاميركي المفروض، واما ان ينجح البديل الحقيقي له وهو السلام القائم على قرارات الامم المتحدة وقاعدة الشرعية الدولية؟ اما ان تنجح الولايات المتحدة في سياستها، واما ان تنجح الشعوب العربية في التصدي لها. فبأي اتجاه سوف تسير المنطقة؟ هذا ما ستجيب عليه السنوات او حتى الاشهر القليلة القادمة!!.

١٩٩١/٣/٢٥

الهوامش

(١) النهار ١٩٩٠/١٠/٢٦.
(٢) الاتحاد ٣/٨.
(٣) الاتحاد ٣/١٠.
(٤) الاتحاد ٣/٥.
(٥) الاتحاد ٣/١٨.
(٦) الاتحاد ١/٢٤.
(٧) الاتحاد ١/٢٤.
(٨) الاتحاد ٣/١١.

العالم العربي على اعتاب القرن الحادي والعشرين!

نشرت جامعة الدول العربية مؤخرا احصائيات اقتصادية، اشارت فيها بان العالم العربي هو من اكثر مناطق العالم حاجة الى استيراد المواد الغذائية من الخارج. حيث تستورد الدول العربية سنويا، طبقا لهذه الاحصائيات، (٧٠) مليون طن من المواد الغذائية بقيمة اجمالية تصل الى (٢٥) مليار دولار.

ومن المفارقات العجيبة ان ازدياد الاستهلاك للحبوب لا يتناسب وازدياد الانتاج المحلي، فبينما ازداد استهلاك العالم العربي للحبوب والزيت النباتي والسكر بنسبة ٦٪ فقد ازداد انتاجها محليا بنسبة ٢٪ فقط وجاء في هذه الاحصائيات ان مصر والجزائر والسعودية والعراق والمغرب تستورد ٨٠٪ من كل ما يستورده العالم العربي.

صورة لطفل سوداني يتضور جوعا

وجراء هذا الاستيراد بلغت الديون الاجمالية على العالم العربي حوالي ٢٠٠ مليار دولار. واذا كان العالم العربي يعد حوالي (١٧٠) مليون نسمة، فان كل شخص يصبح مدينا بحوالي ١١٧٦ دولار، في حين يصل هذا الرقم الى ٥٠٠ دولار في سوريا و ٢٥٠٠ دولار في العراق.

وتشير جامعة الدول العربية، بقلق شديد، الى ان المجاعة تتهدد العالم العربي، ففي السودان مثلا هناك اكثر من ٤٠٠ الف انسان يعيشون تحت خط المجاعة ويهدد الموت اعدادا غفيرة من الشعب السوداني. كذلك تشكل المسألة الغذائية مسألة حادة جدا في الاردن والمغرب وتونس وموريتانيا.

Digitized by Birzeit University Library

تهديد الجالية الفلسطينية في الكويت:

لمصلحة من تحويل الاصدقاء والمحايدين الى اعداء

د.اسعد عبد الرحمن

بعث الينا د.اسعد عبد الرحمن هذا الموضوع، وقد اجرينا بعض التعديلات في بعض الجمل والكلمات لامكانيات خاصة بالنشر، وبالرغم من ذلك فقد غابت بعض الجمل والكلمات عن النشر لاسباب خارجة عن ارادتنا.
نرجو من د. اسعد ان يتفهم ذلك، ونحن بدورنا نعتذر له وللقراء الاعزاء.

المحرر

الذين يسمعون او يقرأون ما يروجه «الاعلام الموجه» المعادي في المنطقة العربية وخارجها يعرفون مقاصد ذلك «الاعلام»، فطوال فترة «حرب الخليج» قام ذلك «الاعلام» بترويج كل ما من شأنه تمزيق الوطن العربي الواحد والشعب العربي الواحد على اساس ان مثل هذا الامر لو حدث -لا قدر الله- فانه، على نحو يختلف عن خلافات الحكومات العربية على خطورتها، يشكل للدولة الصهيونية الضمانة النهائية لبقائها. وهذه الايام، واكثر من اي وقت مضى، يركز الاعلام المعادي على استعداء بعض العرب -وبخاصة الاشقاء الكويتيين- ضد الفلسطينيين، بل ان ذلك «الاعلام» يفرش ارضية سياسية، اعلامية لمذابح يتمناها ضد الفلسطينيين وبالذات اولئك الذين لم يغادروا دولة الكويت طوال الازمة/الحرب التي اعقبت الثاني من آب/اغسطس ١٩٩٠.

وكل ذلك ما كان ليستحق منا وقفة لولا ان بعض العرب - للاسف الشديد - قد «اشتروا» تلك «البضاعة السوداء» التي يتخرص بها الاعلام المعادي الموجه ضد وحدة ابناء الامة العربية وضد مساعي

Digitized by Birzeit University Library

تضميد الجراح والمصالحة الجارية عربيا، وكي نساعد انفسنا للرد على تلك التخرصات، وكي نساعد من «قبضوها» على رؤية الحقائق كما هي عليه، لابأس من المسارعة ها هنا الى تثبيت عدد من الوقائع والحقائق ذات العلاقة.

***

بداية نقول: نحن ننصح كل من لا يريد لهذه الامة الخير بالتوقف هنا وعدم المضي في قراءة هذا المقال. كما نقول لكل اولئك الذين طالما تشككوا في الاخوة العربية والروابط القومية العربية والاسلامية: لا تضيعوا وقتكم في قراءة الاسطر اللاحقة. كذلك، نقول القولة ذاتها لكل اولئك الذين اكتشفوا - فجأة - حلاوة الانتماء القطري الضيق على حساب الانتماء القومي العربي او الاسلامي الاوسع! واخيرا، لكل من اصبح يرى في الولايات المتحدة الاميركية وفي غيرها من الدول الغربية (وربما في دولة اخرى) الصديق الصدوق والحليف الثابت نقول: اياك ان تلوث هذا المقال بأشعة «النور الاسود» الذي ينطلق من عينيك: هذه هي، اذن، حقيقة اولى في الرد على الاعلام المعادي وعلى كل من اشترى منه بضاعته الرديئة الفاسدة المفسدة.

***

اما الحقيقة الثانية فهي تلك التي ترتبط مباشرة بواقع ان الفلسطيني وغيره من العرب الذين عملوا في الكويت وغيرها من دول الخليج، وان كانوا ضيوفا اعزاء على ابناء الشعب العربي في المنطقة الخليجية، فانهم لم يكونوا ضيوفا في الفنادق ذات الخمسة نجوم، يقيمون مجانا في غرفه الفارهة المدفوعة الاجر سلفا!!! بل كانوا يعملون في خدمة دول ومجتمعات عربية/اسلامية شقيقة، في ظروف غاية في القسوة وخصوصا في الاربعينات والخمسينات، لقاء اجور ورواتب كانوا سيأخذونها لو انهم عملوا في المانيا او الولايات المتحدة مثلا، ومع ان بعض دول الخليج قد سنت قوانين ومارست تجاه المستخدمين العرب اجراءات، مبررة حينا وغير مبررة حينا آخر، فان تلك القوانين والاجراءات كانت - والحق يقال - موضع نقد شديد من قبل عدد كبير من مثقفي الخليج ذوي المشاعر القومية او الاسلامية او الاممية او الانسانية، كما ان تلك القوانين والاجراءات كانت تسبب مشاعر سلبية في اوساط المستخدمين العرب وبخاصة وانهم ما كانوا ليتعرضوا لمثلها لو انهم عملوا حتى في ديار الغرب الاستعماري العدائي للعرب والمسلمين!! ومما كان يزيد الطين بلة ويملأ القلب بالغم ان ابناء "ديار الغرب الاستعماري العدائي للعرب والمسلمين" كانوا - في الاغلب الاعم - ينالون معاملة فضلى من قبل حكومات وقوانين تلك الدول وبالتأكيد ليس شعوبها!

ضحايا المجازر في الكويت

ومع ذلك، يسجل للمستخدمين العرب - ومن ضمنهم الفلسطينيون - انهم عملوا بدأب ومثابرة وبأمانة، وصانوا امن البلاد التي اقاموا فيها، واحترموا قوانينها (بما فيها القوانين الجائرة) وراعو تقاليد تلك المجتمعات وحرمتها، ورغم تفاوت درجة «حسن معاملة» حكومات وشعوب ودول الخليج العربي للوافدين العرب (الملقبين غالبا بلفظة «الاجانب») فان شعب الكويت - والحق يقال - كان في طليعة شعوب المنطقة الخليجية التي احسنت، على وجه الاجمال، وفادة العرب بدليل انهم والفلسطينيون منهم بخاصة - قد ازدهروا ديمغرافيا واقتصاديا حتى شكلوا مع غيرهم واحدة من اعلى نسب العرب مقارنة بالدول الخليجية الاخرى التي منح بعضها الاولوية لاستخدام العمالة الاسيوية غير العربية! ومرة اخرى، ناضل المثقفون التقدميون والقوميون والاسلاميون الكويتيون ولعبوا - وبالذات في مراحل انتعاش الديمقراطية - دورا بارزا في تقديم الدعم المالي

Digitized by Birzeit University Library

والسياسي والاعلامي للقضايا العربية والاسلامية، وفي الطليعة منها قضية فلسطين، مع متابعة الضغط على الحكومة كي تلغي او تقلص قوانينها واجراءاتها غير الاخوية غير الانسانية لمصلحة زيادة قوانينها واجراءاتها الاخوية والانسانية الحقة! هذا بعض ما يجب ان يقال عن مرحلة ما قبل ٢ آب/اغسطس ١٩٩٠.

***

والحقيقة **الثالثة** ترتبط بما حدث بعد الاجتياح العراقي للكويت يوم الثاني من آب/اغسطس ١٩٩٠. فمنذ الاسبوع الاول، بدأت حملة سياسية اعلامية معادية لا تستهدف موقف حكومة المملكة الاردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية فحسب، وانما تستهدف ايضا موقف الشعب الاردني وبخاصة الشعب الفلسطيني. وفي الوقت الذي تمت فيه التغطية والتعتيم على الموقفين الرسميين الاردني والفلسطيني، بل وجرى تشويههما لاحقا، بدأت حملة ضارية (في عدد من الصحف الغربية والخليجية والمصرية والعربية الممولة خليجيا في لندن) استهدفت - بأقذع العبارات - موقف الدولة الاردنية والموقف الفلسطيني، ناهيك عن استهداف ابناء الشعبين التوأمين! ويومها، تم - زورا وبهتانا - تصوير موقف المملكة ومنظمة التحرير (المعلنين رسميا وعلنيا في وثائق موجودة) وكأنهما كانا مع «احتلال الكويت وضد الشعب الكويتي». بل قبل ذلك - ولندقق في التواريخ - بدأت اياد لا تخفى على احد تملأ جدران مباني ومؤسسات الكويت بشعارات من نوع: «ان لم تجد عراقيا ... اقتل فلسطينيا او اردنيا»! وغير ذلك من الشعارات المقززة التي تحدثت - تعسفا - عن «خيانة» «وغدر» الفلسطينيين والاردنيين، وغير ذلك كثيرا ونحن هنا، لن نسجل نص وثائق الموقفين الاردني والفلسطيني، بل قل الموقف الواحد الاردني/الفلسطيني تجاه ما حدث مع الكويت، وحسبنا ان نذكر بأبرز تلك النقاط (علما بأن الوثائق موجودة لكل من يريد مطالعتها). فخلاصة الموقف الفلسطيني الاردني اوضح حقيقة ان الدولتين «ضد ضم اراضي الغير بالقوة وانهما مع حق الشعب الكويتي في تقرير مصيره ومع عودة الشرعية الكويتية». وفعلا، بذل الطرفان مساعيهما من اجل انسحاب عراقي ومن اجل "حل عربي". وفعلا تجاوب الرئيس العراقي وباشر الانسحاب - وفق ما اعلنه رسميا وعلنيا الملك حسين - الامر الذي شكك فيه الامريكيون وحلفاؤهم ... لاغراض سرعان ما اتضحت دوافعها، وبات من الثابت الان ان الغرب المعادي المتحالف «مع دولة في المنطقة» انما كان يريد تعطيل «الحل العربي» ... والتدفق العسكري على المنطقة ليس فقط لتحرير الكويت بل لتدمير العراق حتى قبل تحرير الكويت! ومن لم يصدق ذاك الطرح الاردني/الفلسطيني يومئذ، ماذا يقول اليوم بعد ان تم تدمير العراق، فعلا، قبل اكثر من شهر من تحرير الكويت؟!!!

ونحن حين نعيد تسجيل هذا الموقف الرسمي الاردني/الفلسطيني الذي تفهمه الرئيس العراقي في حينه تفهما يقدر له تاريخيا، لا نعتذر عن موقف صحيح كان كفيلا بانقاذ كل من الكويت والعراق من التدمير وحفظ الثروة والقوة العربية، بل نحن ها هنا نعيد تسجيل هذا الموقف على قاعدة: «وذكر ان نفعت الذكرى»!.

***

اما الحقيقة **الرابعة** فانها اكثر تعقيدا من الموقفين الرسميين الاردني والفلسطيني، وهي تتعلق بموقف الشارعين الفلسطيني والاردني وقواهما الشعبية والحزبية، وفي غياب الدراسات الاحصائية، وفي حدود ما يستطيع مراقب مثلي ان يؤكده، استطيع ان اسجل ان الغالبية الساحقة من ابناء الشعبين التوأمين الاردني والفلسطيني لم تكن ضد دولة الكويت او ضد حق الشعب الكويتي في تقرير مصيره، رغم ايمان الاغلبية ذاتها بالوحدة العربية لكن على اسس اختيارية وطوعية، ورغم استياء الاغلبية ذاتها مما تعتقد انه دور غير اخوي -كي لا نقول اكثر -مورس من قبل بعض القيادة الكويتية ضد العراق، ورغم استياء الاغلبية ذاتها مما تعتبره تفضيلا للاجنبي على العربي في معظم دول الخليج والجزيرة بل وتمييزا عنصريا ضد العربي. وفي الوقت ذاته، احسب ان الاغلبية الساحقة من ابناء الشعبين الاردني والفلسطيني قد احبت الرئيس العراقي والشعب العراقي والجيش العراقي حبا خاصا وخالصا وعلنيا (يفضل الديمقراطية التي يعيشها الاردن). وغني عن الذكر ان ذلك الحب للعراق قيادة وشعبا وجيشا ليس كرها بالكويت، وانما هو تقدير لما مثله العراق من امل الجماهير الاردنية/الفلسطينية (ضمن الجماهير .....

وكذلك، فان الموقف الشعبي الاردني/الفلسطيني لم يكن مع العراق ... ضد الكويت، وانما كان مع العراق ضد الولايات المتحدة الاميركية التي جاءت لتحقيق اهداف تتجاوز تحرير الكويت الى تدمير قوة العراق دفاعا عن مصالحها الامريكية المباشرة ودفاعا عن المصالح المعادية، وسيكون امرا محزنا ومأساويا ان بقي بعض الخليجيين يعتقدون بغير او بعكس الحقائق المشار اليها اعلاه.

***

اما الحقيقة **الخامسة** بالزوبعة المثارة حول الموقفين الاردني والفلسطيني، بل قل الموقف الاردني/الفلسطيني الواحد، فانها

Digitized by Birzeit University Library

صورة عن تعذيب الفلسطينيين وغيرهم من العرب

تتعلق بموقف الجالية الاردنية والفلسطينية الكبيرة عددا وكفاءة وخلقا وعطاء في الكويت، في هذا السياق، لم يعد سرا ان تلك الجالية وقعت - كما كثير من الجاليات والشعوب، بل ربما هي وقعت اكثر من غيرها - ضحية لمنطق، او بالاحرى لانعدام منطق الازمة/الحرب في الخليج. فتلك الجالية اختارت - منذ اللحظة الاولى - موقف الحياد، سواء كان ذلك الموقف ناجما عن موقف اخلاقي (من صراع عربي/عربي كما كان في بدايته على الاقل) او كان ناجما عن موقف مصلحي، وبسبب ذلك الموقف الحيادي وقعت الجالية كما هو متوقع - بين المطرقة والسندان الكويتي/الخليجي او بين المطرقة الكويتية/الخليجية والسندان العراقي، لا فرق! وفي الايام الاولى، لم يعد سرا انه جاء من يطلب من الجالية الفلسطينية (وغيرها من العرب) وقيادتها ان تنطلق في مظاهرات تأييد للعراق وان تنضم الى «الجيش الشعبي العراقي للحفاظ على تحرير الكويت والدفاع عنها" ! وقد قدمت هذه الطلبات للوفد الفلسطيني، برئاسة الاخ سليم الزعنون وعضوية «صبحي غوشة وغيره من الشخصيات الفلسطينية في الكويت، ولكن ذلك الوفد اكد - رغم استياء واحد او اكثر من اعضائه - على حياد الجالية مما اثار استياء بعض القيادات العراقية التي - لولا تدخل الرئيس صدام شخصيا - ربما كانت قد اتخذت موقفا غير قومي وغير متفهم من الجالية، ومن ناحية اخرى، لم يعد سرا ان عددا من الشخصيات الكويتية اتصلت بالقيادة الفلسطينية في الكويت وطلبت من ابناء الجالية الانخراط في «المقاومة ضد الاحتلال العراقي»! غير ان الموقف الفلسطيني الحيادي بقي على ما هو عليه رغم استياء بعض القيادات الكويتية من ذلك الموقف، وطبعا مع تفهم البعض الاخر لذلك الموقف.

***

اما الحقيقة السادسة فهي ان الموقف الفعلي لابناء الجالية الفلسطينية (وغيرها من العرب) بقي - على وجه الاجمال الاغلب - موقفا محايدا وصلبا في حياديته، طبعا، هذه الحقيقة لا تعني ان بعض الفلسطينيين وغيرهم من العرب في الكويت - ونحن هنا نتحدث عن افراد - لم ينحازوا للجيش العراقي وسياساته، كما ان هذه الحقيقة لا تعني ان بعض الفلسطينيين وغيرهم من العرب في الكويت - ونحن هنا ايضا نتحدث عن افراد - لم ينحازوا «لحركة المقاومة الكويتية» ويقاتلوا في صفوفها! وكما هو متوقع، وضع هذا الواقع القيادة الفلسطينية مرة اخرى بين المطرقة ... والسندان! لكن الطرفين المتصارعين - على وجه الاجمال - سرعان ما تفهما الموقف الحيادي لابناء الجالية الاردنية والفلسطينية ورضوا به، تماما مثلما تفهموا انحياز البعض ضدهم و/او ضد الطرف المقابل! وفي هذا السياق، يجدر التنويه بما قاله شهود كويتيون وغير كويتيين تحدثوا - بصدق وصراحة - عن هذه الحقيقة مؤكدين لمضمونها وذلك في تقرير واف قدمته هيئة الاذاعة البريطانية (ليلة - يوم الاحد/الاثنين ٤/٣ من آذار/مارس). وهنا يرجى الانتباه الى اننا نقول هيئة الاذاعة البريطانية وليس الاذاعة البريطانية او اذاعة المملكة الاردنية الهاشمية كي لا يشكك اصحاب مدرسة «كل افرنجي ... برنجي» او اصحاب المدرسة الحاقدة على كل ما هو اردني وفلسطيني في مادة هذا التقرير (الممكن طبعا الحصول عليه لمن فاته الاستماع له في هيئة الاذاعة البريطانية ذاتها)!! ومما يجدر التنويه به ايضا ما قاله لي امام آخرين السفير الكويتي في عمان يوم كان - ضمن امور اخرى - يحاول تجميع القوى الفلسطينية/الاردنية ضد العراق ويوم كان يطنب في الحديث عن «المآسي التي يتعرض لها الفلسطينيون على

Digitized by Birzeit University Library

ايدي قوات الاحتلال العراقي» وعن «انحياز قلة من الفلسطينيين مع العراق تماما مثلما ان بعضهم يقاتل في صفوف المقاومة الكويتية! كذلك، ومن باب الامانة يجدر التنويه بالموقف الفاهم/المتفهم الذي اتخذته القيادة العراقية العليا وبعض قيادات المعارضة الكويتية والموقف الذي اعلنه اكثر من وزير كويتي (اخرهم الدكتور عبد الرحمن العوضي يوم السبت الموافق الثاني من آذار) والذي يؤكد حقيقة الموقف الحيادي العام للغالبية الساحقة من ابناء الجالية الفلسطينية والاردنية في الكويت رغم الضغوط المتعاكسة المسلطة عليهم!!.

***

اما الحقيقة السابعة فانها تنطلق من خلاصة توصل اليها كاتب هذه السطور يوم وضع دراسة عن ازمة الخليج نشرتها صحيفة الرأي الاردنية على اربع حلقات بعد ثلاثة اسابيع فقط من الاجتياح العراقي وذلك في الفترة ما بين ٢١-٢٤/٨/١٩٩٠ وحظيت باهتمام «منتدى الفكر العربي» الذي اعاد نشرها في مجلته المركزية فورا، اي قبل انقضاء الشهر ناته الذي بدأت فيه الازمة الخليجية، يومها، اختتم كاتب هذه السطور دراسته تلك قائلا:

«والان، وبغض النظر عن مواقفنا وانحيازاتنا الايديولوجية والسياسية الراهنة، وفي مواجهة الخطر الراهن الذي يتهدد بشكل جدي وصاعق الامة العربية والوطن العربي، يصبح مطلوبا منا جملة قضايا بينها ثلاث بارزة:

١) في الموقف السياسي، بات واضحا انه في ظل التعقيدات الدولية التي دخلت فيها الازمة، ان مجمل الاوضاع السياسية والشعوب والثروات في المنطقة التي تضم العراق والكويت وباقي دول مجلس التعاون الخليجي واليمن و .... والاردن اصبحت عرضة للتغير وربما للتدمير الشامل. ولا نعتقد ان من مصلحة احد حدوث مثل ذلك التغيير او التدمير على ايدي الحلف المعادي المرشح للسيطرة على كل ذلك والذي ما فتىء يحشد قواته واساطيله وصولا الى ذلك الهدف، ومن هنا تبرز الاهمية القصوى لتكثيف الجهود العربية لهدف ابعاد او تحييد تأثيرات ذلك الحلف ... والانطلاق نحو «حل عربي» يحفظ الوجود والثروات العربية ... لمصلحة العرب .. وبما يصون حقوق الاطراف العربية المتنازعة وفقا لما يقول به الموقف الاردني/الجزائري/اليمني/ الفلسطيني الرسمي الداعي الى الالتزام بقواعد وتقاليد الاخوة والجيرة العربية، وعلى اساس ميثاق جامعة الدول العربية، وضمن نطاق الحقوق الثابتة غير القابلة للتصرف للشعوب في الاقطار العربية المتعددة، ونحن على يقين من ان العرب - اذا ما التقت قياداتهم تحت مظلتهم العربية وبعيدا عن اية مظلة او تأثيرات معادية تستهدف انقسامهم - قادرون على التوصل الى ما يرضيهم جميعا ومعا في أن واحد بدءا من قضية الكويت، وانتهاء باية قضية ثانية او ثالثة ... الخ.

٢) كذلك، نحن مدعوون الى التمسك بمبادئنا القومية العربية/الاسلامية الثابتة التي تدعونا الى ادراك ان الكويتيين يعيشون الان - ماديا ونفسيا - نتائج الزلزال الفعلي الذي وقع على رؤوسهم ومن حولهم ومن تحت اقدامهم فزلزل ظروفهم المادية والعائلية والنفسانية واصبحوا - وبخاصة اولئك الذين يتواجدون في الخارج ... بحاجة ماسة الى تعاطفنا الشعبي القومي والاسلامي معهم كي نخفف من الام من يتألم منهم. وكي نسعف، كل محتاج، فتتعظم قيم القومية العربية التي تجمعنا جميعا ضمن اطار الوطن العربي الواحد الذي يظللنا في السراء والضراء، مؤكدين على حقيقة بقاء الاخوة العربية بين جميع ابناء الاقطار العربية بغض النظر عن الانواء او العواصف او الزلازل التي تصيب هذا البلد او ذاك سواء نتيجة استمرار المؤامرة التقسيمية التي يقودها الحلف المعادي، او نتيجة سوء تصرف هذا الحاكم او ذاك محليا او عربيا، والشيء ذاته يقال عن الشعب العراقي الذي بدأ يعاني من الحصار الامريكي/ البريطاني الهمجي، بل ان الكويتيين والعرب الاخرين على امتداد الارض العربية المحاصرة باتوا يعانون ايضا من الحصار ذاته.

٣) في ظل تراكم الاخبار والروايات والاشاعات عن اضطهاد الفلسطينيين والعراقيين والاردنيين واليمنيين في اقطار «مجلس التعاون لدول الخليج العربي»، او عن اضطهاد الكويتيين والمصريين في الدول المقابلة سياسيا، سيكون من العار علينا جميعا لو اتضح ان في تلك الاخبار او الروايات او الاشاعات المتراكمة اية سياسة حقيقية ملموسة (طبعا مع استثناء بعض الحوادث المنعزلة المتوقعة الحدوث في مثل الاجواء المعبئة التي نعيش!!)، بل ان المطلوب من القيادات الحاكمة في الاقطار العربية المتعددة بدل المسارعة الى معاقبة ابناء الجماهير العربية ومحاربتها في ارزاقها ان تسارع الى دراسة شكاوي وتظلمات الجاليات العربية المقيمة والعاملة في اقطارها تمهيدا لازالة الاسباب التي ربما تكون جعلت «القلوب ملآنة» بين شعب ما وجالية معينة وربما قد تكون قد تسببت في حسابات او مواقف ليست في مصلحة اي من طروحاتنا ومبادئنا القومية العربية/الاسلامية. ومثل هذه المعالجة فيها مصلحة للقيادات الحاكمة ذاتها (لو انها تعي وتدرك) وفيها بالتأكيد المصلحة المنشودة لشعوب الامة العربية راهنا ومستقبلا.

وفي الختام، لن يستقر المقام في هذه

Digitized by Birzeit University Library

المنطقة - راهنا ومستقبلا - الا اذا سادت العواطف والاخلاق والمبادىء والحلول القومية العربية/الاسلامية ... لا الامريكية/الصهيونية».

هذا بعض ما نشرناه يوم ١٩٩٠/٨/٢٤ ونعتقد انه مايزال - بجوهره ومعظم تفاصيله - صالحا للنشر هذا اليوم.

***

ارتفاع نسبة البطالة في الاردن. وقد حافظت الغالبية الساحقة من ابناء الجالية الفلسطينية والاردنية الذين بقوا في الكويت على افضل العلاقات مع غالبية المسؤولين العراقيين في الكويت ومع غالبية ابناء الشعب الكويتي الذين لم يغادروا الكويت ايضا لاسباب متنوعة، اذن، فان ابناء الجالية الفلسطينية والاردنية -في ضوء الحقائق اعلاه - يبقون ضيوفا لدى اشقائهم

يتدربون على تنفيذ جرائمهم

للفلسطينيين والاردنيين في الكويت، وبعد ان قامت حكومة كل من المملكة الاردنية الهاشمية واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بلفت الانظار الدولية والعربية لما قد يقوم به «الطابور الخامس» في الكويت ضد ابناء الجالية الفلسطينية والاردنية لن يلتمس احد العذر لاحد لو - لا سمح الله - وقعت مجزرة ضد ابناء الجالية الفلسطينية والاردنية! كذلك، لا يساورنا الشك في ان القوى الكويتية (الوطنية القومية والاسلامية والامية) ستبذل كل جهدها كي لا تسمح للكتائبيين الجدد بالسقوط في الكويت فيما سقط فيه لبنان الكتائبيون القدامى يوم اقدموا - مع قوات شارون - على ذبح الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا، وغني عن الذكر انه لا الحكومة الكويتية، ولا منظمة التحرير الفلسطينية، ولا الحكومة الاردنية بحاجة الى اي اعداء جددا!

اما الحقيقة **الثامنة والاخيرة** فترتبط بطبيعة اوضاع الجالية الفلسطينية والاردنية في الكويت. فنصف ابناء الجالية (اي حوالي ١٨٠ الف فلسطيني واردني) غادروا الكويت في فترات مختلفة بعد ١٩٩٠/٨/٢ ولم يعودوا اليها لانهم نجحوا في ترتيب اوضاعهم او جزء منها سواء داخل الاردن او خارج الوطن العربي. اما النصف الاخر فقد بقي في الكويت رغم الظروف القاسية المهددة لحيواتهم وذلك نتيجة اوضاع مادية قاهرة (رغم المساعدات المشكورة التي قدمتها لهم منظمة التحرير) و/او نتيجة رفض دولة الاحتلال الاسرائيلي السماح لهم بالذهاب الى وطنهم فلسطين، و/او بسبب الكويتيين، وامانة في اعناقهم، ومسؤولية الحفاظ عليهم وعلى حيواتهم وممتلكاتهم تقع على كاهل سلطات الحكم العرفي المعلن في الكويت، وبخاصة وانه في الثابت ان الافراد الفلسطينيين وغيرهم من العرب (ونؤكد على كلمة الافراد) الذين انحازوا للجيش العراقي او اساءوا للكويتيين قد غادروا الكويت ... قبل الحرب او قبل الانسحاب العراقي او معه. وفي هذا السياق من حقنا ان نتوقع من القائد العرفي، ولي عهد الكويت، الشيخ سعد العبدالله الصباح الضرب بيد من حديد على ايدي كل من تسول له نفسه الانخراط في المخطط المعادي الهادف الى ترتيب مجزرة

اعلان

كنا قد وجهنا دعوة الى كافة كتابنا ومفكرينا على ضوء التغيرات التي شهدها العالم ولا يزال، ان يكتبوا الينا ويطرحوا وجهة نظرهم فيما يتعلق بالمشروع القومي العربي.

وسوف نبدأ بنشر ما وصلنا من مقالات تباعا، ابتداء من العدد القادم.

Digitized by Birzeit University Library

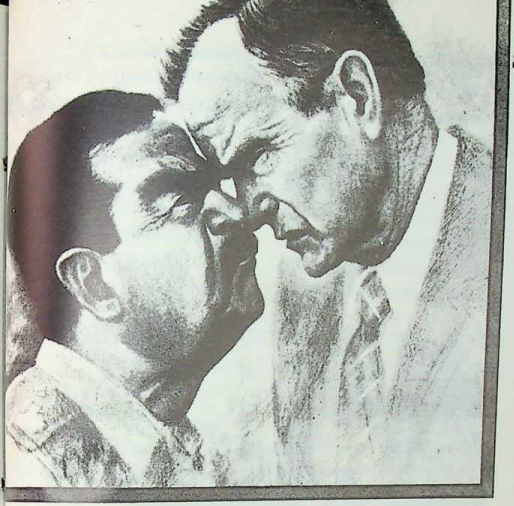

صدام حسين - ام المعارك - النتائج والاسباب

د. محمد اسعد

بالنظر الى ما كانت عليه نتائج احداث الخليج، فان اسم ام المعارك التي وعد بها الرئيس صدام حسين، له وقع نشاز على مسامع اغلبية العرب والعربان، غير انني آثرت ان استعمل الاسم نفسه لانني على يقين بانه اذا ما احسن استغلال نتائج هذه الاحداث فستكون بايجابياتها شبيهة بنتائج الانتصار، او على الاقل شبيهة بالاهداف التي كان يسعى صدام حسين للوصول اليها من خلال تصميمه على المضي في خطته.

لقد كتبت في مقال سابق بانني عندما استمعت الى شريط تسجيل للرئيس صدام في حديث له مع بعض قادة الراي العام في الاردن، كان تعليقي الوحيد على هذا الحديث، ان هذا الرجل قادم من اعماق التاريخ!! وقد حددت تماما العوامل التي يجب ان تتحقق لخلق التوازن من قبل الطرف العراقي حتى يمنع حصر الهزيمة لقواته من قبل قوات الحلفاء.

وباختصار فقد كانت هذه العوامل هي:

١- امتصاص الضربة الاولى.

٢- اطالة امد الحرب، للوصول الى تحقيق هدفين.

الاول: توسيع رقعة الحرب، لتشمل اسرائيل والاردن وسوريا وايران (بتفاؤل).

الثاني: شق التحالف، وتحقيق التراجع في الطرف العربي منه خاصه سوريا ومصر، عن خطها، وذلك بضغط الشارع في كلا البلدين.

٣- تكبيد قوات الحلفاء، خسائر في الارواح الى المدى الذي يعطي انعكاساته على الشارع في دولها لاجبارها على وقف القتال.

لم يكن متوقعا من العراق تحقيق

Digitized by Birzeit University Library

الانتصار بمعناه المادي المجرد على القوات المتحالفة، وكنا اعتبرنا بان الانتصار بالنسبة للعراق هو منع القوات المتحالفة من ايقاع الهزيمة به.

غير ان النتيجة باءت اسوا من كل التوقعات، فالهزيمة وقعت للقوات العراقية من قبل القوات المتحالفة، باقل الخسائر، وهذا ما اذهل العالم، واذهل القوات المتحالفة نفسها. فلماذا؟

عسكريا، سيبقى هذا الامر لغزا الى حين ان تعرف التفاصيل عن الايام ال ٤٢ من القتال، غير انه من الواضح بان القصف الجوي الذي مارسته القوات المتحالفة على العراق كان فعالا الى درجة اكبر بكثير مما توقعنا، واكبر بكثير مما سمحت القيادة العراقية بالاعلان عنه، مما دفع القوات المتحالفة الى تكثيف القصف الجوي وتكراره، للوصول الى نتائج افضل، فالمصور العراقي امام القصف الجوي، يبدو انه كان صمود الجريح، ان صح التعبير، هذا الصمود، هو الذي اعطى الانطباع سواء للقوات المتحالفة او للجماهير العربية، بان العراق قد استطاع امتصاص الضربات الجوية، وانه سيخرج منتصرا. غير انه لو كنا واقعيين وحسبنا ببساطة كمية المتفجرات التي اسقطت على العراق خلال ال ٤٢ يوما لوجدنا انها تزيد بقوتها ٢٠٠ مرة عن قوة القنبلة النووية التي القتها الولايات المتحدة على هيروشيما عام ١٩٤٥، والتي استسلمت اليابان على اثرها، فالسؤال هنا، مهما كانت قوة تحصينات الجيش العراقي، ومهما كانت قدرته على التحمل، فان مجرد صموده خلال هذه الفترة وضمن هذه الحقائق يعتبر معجزة.

- ان خروج القوات الجوية والدفاعات الجوية العراقية من ساحة القتال، ومن حسابات المعركة منذ اليوم الاول، قد لعب دوره الرئيسي، في تركيز القصف الجوي، وجعل آثاره اكثر تأثيرا.

- ان بقاء الجيش العراقي لمدة تزيد على الاربعين يوما تحت القصف، وبدون خطوط اتصال سليمة، وبدون خطوط تموين سليمة، قد جعل امكانية الحرب البرية بالنسبة له مستحيلة.

- ان حقيقة ان الجيش العراقي بقي متحصنا في مواقعه الدفاعية محصورا في منطقة جغرافية محددة هي الكويت، وجنوب العراق، وحقيقة فقدانه للتغطية الجوية، اولا، وللدفاعات الجوية، قد جعل قدرته على مراقبة تحركات القوات المتحالفة معدومة، وجعل ايضا قدرته على الحركة التكتيكية معدومة ايضا، مما اعطى القوات المتحالفة القدرة على وضع خطة مركزية ثابتة لا تتغير، نتيجة فقدان القوات العراقية على الحركة التكتيكية في المعركة، مما يجعل من المستحيل انجاز او تنظيم اي هجوم مضاد او تغيير في المواقع او اي وجهة تكتيكية متعارف عليها في العلوم العسكرية.

مما سبق يتضح ان ما حدث ليس بانجاز عسكري ضخم. كما يحاول قادة القوات المتحالفة وصفه، انما هو عبارة عن استخدام التفوق التكنولوجي والجوي بالدرجة الاولى منذ اليوم الاول للقتال، من قبل هذه القوات. لتحييد فعالية القوات العراقية البرية - وهذا ما حصل فعلا.

- غير ان السؤالين الرئيسيين هما:

اولا: لماذا لم يستعمل العراق الاسلحة الكيماوية في المعركة ، عندما وجد نفسه في هذا المأزق؟

ثانيا: لماذا اقدم العراق اصلا على هذه المعركة ولم يستغل الفرص السياسية التي سنحت له لتفاديها سواء قبل ١٩٩١/١/١٧، او قبل ١٩٩١/٢/٢٢؟

اولا: سنبدأ بالاجابة على السؤال الاول، والاجابة هنا تتركز في ثلاثة اسباب:

١- السبب العسكري البحت: في رايي ان التفوق التكنولوجي والجوي للقوات المتحالفة، قد استطاع قطع القدر الاكبر من خطوط الاتصال بين القيادة ووحداتها، فلم تعرف القيادة حقيقة المازق الذي وقعت به الا في صباح يوم السبت ١٩٩١/٢/٢٤، حيث ان تركيز الدفاعات والتحصينات العراقية كان على الحدود الكويتيه السعودية، وشاطىء الكويت، على اعتبار ان اي هجوم للقوات المتحالفة سيأتي على شكل ثنائي لتشكيل كماشة على القوات العراقية - من جهة البحر - ومن جهة الحدود السعودية الكويتية.

غير ان الخطة التي استخدمها الحلفاء، في الهجوم، جاءت مختلفة تماما، وذلك نتيجة لما ذكرنا سابقا، من فقدان القوات العراقية للحركة التكتيكية ، فقد تبنى الحلفاء خطة عسكرية تعتمد على تطويق الكويت من الغرب والشمال للتعامل مع قوات الحرس الجمهوري المتواجدة في منطقة البصرة، لحسم المعركة، باسرع وقت ممكن، حيث ان خطة التعامل على خطوط الدفاع العراقية الحصينة ستجعل المعركة البرية تاخذ بعدا مختلفا، من ناحية الوقت، ومن ناحية الضحايا والكلفة.

وعندما اتضح للقيادة العراقية وصول قوات التحالف الى مالا يزيد على ٢٠٠ كيلومتر جنوب بغداد، اصيبت القيادة بالفزع، وطلبت من قواتها المتواجدة في الكويت الانسحاب، حيث اصبحت الاولوية الان هي الدفاع عن ارض العراق، وليس الاحتفاظ بالكويت!!

نتيجة لذلك، فقد اخذ الفزع ماخذه واصبح الارتباك واضحا في جانب القيادة العراقية، واصبح تنفيذ ضربة او ضربات بالاسلحة الكيماوية، غير ممكنة على الاغلب، من الناحية العملية، حيث ان تواجد القوات المتحالفة اصبح غير معروف تماما،

Digitized by Birzeit University Library

واغلبها يتواجد على الارض العراقية نفسها، وفي غياب دور الطيران العراقي، اصبح تنفيذ هذه الضربة بالاسلحة الكيماوية مستحيلا؟!

الرئيس السوفياتي، والذي اعطى العراق وقيادته املا خلال العشرة ايام الاخيرة من الحرب، بانه من الممكن تحقيق (بعض) الاهداف بشكل مشرف، مما جعلها تتغاضى

لماذا اقدم العراق اصلا على هذه المعركة فهذا يحتاج الى الكثير من الحديث، وقد تعرضنا لذلك في الكتابة الاولى، (ازمة الخليج - لماذا؟ «الكاتب ١٢٨ -

صورة من الدمار الذي شهدته بغداد اثناء القصف الجوي للحلفاء

٢- **السبب السياسي:** ان السبب السياسي برايي يتركز في الدرجة الاولى، على ان القيادة العراقية والتي هي في النهاية قيادة من العالم الثالث، تبقى الاولوية في حساباتها لبقائها على راس النظام، وفي هذه الحالة، فان استخدامه للاسلحة الكيماوية، سيقضي على اي امل لهذه القيادة في البقاء على راس النظام، وسيعطي الشرعية لقوات التحالف لتنفيذ احد اهدافها الرئيسية وهو القضاء على النظام في العراق، لهذا لم تظهر ولم نشاهد اية محاولة من القيادة العراقية لاستخدام مثل هذه الاسلحة.

٣- **السبب الثالث وهو .سبب سيبقى غير مؤكد،** الى حين اتضاح الكثير من المعلومات، وهو الدور الذي لعبه

وللحظة الاخيرة، عن استخدام مثل هذه الاسلحة، فاما ان الرئيس السوفياتي لعب هذه اللعبة بتنسيق مع الحلفاء، واما انه كان حسن النية، ولن نعرف ذلك قريبا حقيقة ما وراء الدور السوفياتي!!

للاسباب اعلاه مجتمعة، لم نسمع ولم يحدث ان استخدم العراق اسلحته الكيماوية التي طالما وعد العالم باستخدامها، والتي كانت تشكل اساسا احد اهم المخاوف والحسابات لدى قوات الحلفاء!

ثانيا: لماذا اقدم العراق اصلا على هذه المعركة، ولماذا لم يستغل الفرص السياسية التي سنحت له لتفاديها سواء قبل ١٩٩١/١/١٧، او قبل ١٩٩١/٢/٢٢؟ لنجيب على ذلك، هنالك الكثير من الاعتبارات، فللاجابة على الجزء الاول من السؤال، وهو

المحرر»)، وباختصار وحسب راي القيادة العراقية، فان ما حدث لم يكن باختيارها وانما كان في نظرها عبارة عن حركة للدفاع عن النفس، وذلك لاحباط مؤامرة ومخطط مسبق معد من قبل اميركا، وينفذ بواسطة الكويت ودول الخليج والسعودية، وتقول القيادة العراقية، بان لديها من الوثائق ما يثبت بان هذه المؤامرة وان هذا المخطط موجودا اصلا، ويستهدف اضعاف العراق، وتدميره من الداخل، بواسطة اضعافه اقتصاديا من خلال خفض اسعار النفط، المصدر الرئيسي لدخل العراق، ومن خلال فرض الحظر الاقتصادي بشكل غير معلن، وخاصة من قبل الولايات المتحدة، ولكن وبعد اكتمال الصورة، الا يحق لنا التساؤل ان كل ما فعلته العراق، كان عبارة عن

Digitized by Birzeit University Library

تنفيذ فعلي لما كانت الولايات المتحدة ترغب فعلا في حدوثه؟ وبمعنى آخر، هل وقع العراق في الشرك الذي نصبته له الولايات المتحدة؟! من خلال دفعه الى الزاوية، فرض عقوبات اقتصادية غير معلنة، دفع امارات الخليج والسعودية لخفض اسعار النفط، دعم الموقف الكويتي باتجاه التصلب وعدم قبول اي جزء من المطالب العراقية قبل ١٩٩٠/٨/٢، وتأكيد الدبلوماسية الاميركية للقيادة العراقية قبل ايام قليلة من ١٩٩٠/٨/٢، من ان اجتياح العراق للكويت، لن يكون له اي رد فعلي اميركي، بل ستعتبره اميركا شأن عربي ولن تتدخل فيه، كل ذلك في نظري شكل الشرك الاول الذي نصبته الولايات المتحدة للعراق، ووقع فيه العراق باحتلاله الكويت؟!

ثم جاء دور الشرك الاخر، وهو التصلب الاميركي، الذي كان يقصد منه دفع العراق باتجاه التصلب وعدم الانسحاب من الكويت، واظهار الخشية من الجيش العراقي، وتضخيم قوته للعالم، وتصويره على انه القوة الرابعة في العالم، مما خدم مصلحة الولايات المتحدة في اتجاهين، حيث وحد الرأي العام العالمي ضد العراق، وقبل فكرة تدمير قوته العسكرية من جهة، وجعل العراق، يفاخر في وضعه وقوته، ويوقع في الشرك؟! مرة اخرى - وكان ما كان!!

اما الجزء الاخر من السؤال، وهو لماذا لم يستغل الفرص السياسية التي سنحت له لتفادي المعركة سواء قبل ١٩٩١/١/١٧، او قبل ١٩٩١/٢/٢٢؟!

للاجابة على ذلك، يتوجب تجزئة السؤال الى قسمين، القسم الاول، وهو لماذا لم يحاول الاستفادة من الفرص، قبل ١٩٩١/١/١٧، ولذلك اسباب كثيرة:

١- الشرك الاميركي، تضخيم قوة العراق كقوة رابعة في العالم، وتصديقه لمخاوف الحلفاء المعلنة، مما جعل التراجع بالنسبة له هزيمة.

٢- ان القيادة العراقية لم تضع في حساباتها للحظة واحدة بان المعركة ستحصل، وان حصلت فلم تقدر اطلاقا بانها ستكون بهذا الشكل، فمع وعي القيادة العراقية للاهداف الحقيقية وراء حملة الحلفاء، الا ان القيادة العراقية اخطأت في حساباتها في هذا الجانب. فلم تقدر بان الحلفاء سيستخدمون كل هذه الاسلحة والتكنولوجيا ضدها، فكانت حساباتهم خاطئة في هذا الجانب.

٣- ان صدام حسين رجل قانع من التاريخ، وهذا التعبير يحتاج الى تفسير، فلقد طرح صدام حسين معطيات ومبادىء ومطالب، كانت تعتبر من التاريخ، وهي قضية الصراع العربي الاسلامي من جهة والغرب من جهة اخرى، قضية تحرير فلسطين، قضية الشمال والجنوب (الاغنياء والفقراء)، قضية توزيع الثروة في ظروف وفي توقيت غير مناسب. هذا التوقيت كان غير مناسب لسببين:

اولهما: التدمير الذاتي الذي حصل للكتلة الشرقية مما افقد الاتحاد السوفياتي وضعه كقوة عظمى تحقق التوازن، وبالتالي جعل الولايات المتحدة متفردة في العالم كقوة عظمى، بل وكانت ازمة الخليج فرصتها التاريخية لتكريس ذلك، واستغلتها الى النهاية، سواء كانت بتخطيط مسبق منها، او تعاملت معها ظرفيا.

ثانيهما: ان تحقيق التوازن كما قلنا من جهة العراق كان يتطلب عوامل غير عسكرية، ذكرناها سابقا، هذه العوامل تعتمد على الجماهير العربية والاسلامية، وللاسف فان هذه الجماهير تعاني في المرحلة الحالية

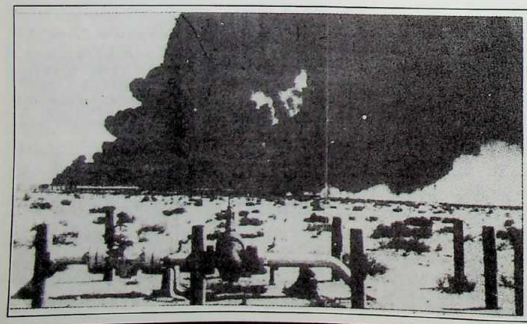

الدخان يتصاعد من فوق ابار نفط كويتية مشتعلة

Digitized by Birzeit University Library

من حالة احباط وتخبط، وفقدان للتوازن بسبب ظروف وعوامل متعددة، سواء من خلال فشل قياداتها السياسية في لعب دورها، او من خلال فشل طروحاتها المبدئية، الذي شكل اجهاضا لاية محاولة نهوض قومية او دينية، او لاي مشروع نهضوي حضاري في المنطقة، لهذا، كانت الاستجابة لطروحات القيادة الوطنية محدودة، وبالتالي فشلت المحاولة العراقية في تحقيق التوازن مع قوات الحلفاء من خلال الاعتماد على العوامل التي ذكرناها سابقا، والتي تعتمد على الجماهير في الشارع العربي والاسلامي.

فاذا كان لي ان الخص المحاولة العراقية في كلمات، فانني اقول بانها كانت محاولة للقفز على الواقع وعوامله، فكان المفروض ان يتعامل العراق وقيادته مع الواقع لانضاج عوامله وبالتالي الاستفادة لاحقا من هذه العوامل، وبدلا من ذلك، فقد حاولت القيادة العراقية التعامل مع النتائج بل وفرضها، كان هذا ممكنا لو كانت الفترة الزمنية طويلة، اما انا تحدثنا عن فترة ٦-٧ شهور فهذا يشكل انتحارا سياسيا!! لكل هذه العوامل مجتمعة، وربما لعوامل غير مرئية اخرى، حدث ما حدث، وفشل العراق في تحقيق التوازن المنشود، وفشل في تنشيط العوامل الرئيسية للازمة لمنع الحلفاء من هزيمته، غير ان ما حدث، **يجب** ان لا يجعلنا نتوقف عنده، ونعتبره النهاية، اذ ان الحلفاء وبغرض تنفيذ مخططاتهم في المنطقة قد لبسوا لباس الشرعية الدولية، ومن هذا المدخل يجب ان تكون محاولاتنا مركزة لمحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه. وهنا يجب ان نقبل ان نتعامل مع الحقائق التالية:

١- ان الحلفاء قد لبسوا لباس الشرعية فقط لاجل تحقيق اهدافهم.

٢- ان الحلفاء قد انتصروا، وان التوازن في المنطقة هو لصالحهم لفترة قادمة ليست بالقصيرة.

٣- ان تاريخ الشعوب لا يتوقف عند نهاية اشخاص او قيادات، واذا كانت المصلحة الان تتطلب اختفاء بعض قياداته، فيجب ان لا يشكل ذلك عقبة. ان ابقاء القيادة العراقية الحالية في العراق من قبل الحلفاء، هو في النهاية لخدمة مصلحتهم، وللتعذر بوجودهم من اجل عدم تحقيق مطالب الشرعية الدولية في المنطقة، وليس العكس، وهذا هو الشرك الثالث، الذي يجب ان لا تقع فيه الامة.

ان حقيقة الواقع الدولي الجديد، قد تكرس، وتفاخر الولايات المتحدة، بانها ستلعب الدور القيادي بشكل عادل ومن خلال الشرعية الدولية، فمن الواجب على كل منا ان يعمل المستحيل من اجل ابقاء هذه المقولة ساخنة وفعالة، وعدم اعطاء القيادة الاميركية اية اعذار للتخلي عن ذلك، او للتحلل من مسؤولياتها في المنطقة، بل وفي الاستمرار في احراجها من خلال التعامل معها بمنطقها لتحقيق اي جزء ممكن من مصالح المنطقة.

ان اهم قواعد اللعبة الدولية الجديدة، عدم السماح للعواطف الوطنية والقومية بالتأثير على القرار، بل التعامل مع الواقع والمصالح الدولية، ومحاولة ان نكون جزء من هذه المصالح دون النظر والتقيد بعواطفنا الوطنية والقومية. فالمعادلة اليوم، هي تحقيق الربح على الارض، اهم بكثير من المناداة بالعزة الوطنية والمبادىء والاخلاق، ليس المقصود التخلي عن عزتنا الوطنية ومبادئنا واخلاقنا، بل المطلوب افراز قيادة قادرة على التوفيق بين مبادئنا وعزتنا القومية والوطنية، وبين قواعد اللعبة الدولية التي تتعامل وتتاثر بالمصالح الدولية اكثر بكثير من المبادىء والحسابات الاقليمية.

قد يكون ما قلنا مؤلما - وجافا، غير انه آن لنا ان ننضج، وان نتعامل مع قضايانا واحلامنا الوطنية من خلال المعادلات الدولية وتاثيراتها، وليكن معلوما لكل منا، بانه بدون تحقيق الحرية والديمقراطية في وطننا العربي، لن نكون قادرين ابدا على تحقيق احلامنا وقيمنا الوطنية والقومية في الوحدة والتحرر، فلنسعى لذلك! وليسأل كل منا نفسه، هل الوطن الحر هو الذي يصنع المواطن الحر المنتمي. ام ان المواطن الحر المنتمي هو الذي يصنع الوطن الحر المتقدم. من يحمي من؟ المواطن ام الوطن؟! فبدون مواطن ومنتمي لن يكون هناك وطن حر ديمقراطي متقدم!!

شامير رجل (الموساد) طارد العلماء الالمان في مصر ...!!

ذكرت صحيفة «معاريف» ان اسحق شامير قام اثناء عمله «في الموساد»، الاسرائيلي بادارة عملية تخويف وقتل العلماء الالمان الذين عملوا في مشروع الصواريخ المصرية في سنوات الستين.

وسميت هذه العملية «بوست مارتام»، وكانت قد ارسلت رسائل ملغومة انذاك الى العلماء الالمان.

وكشف النقاب عن هذه المعلومات كتاب عن «الموساد» صدر حديثاً في لندن باسم «الحروب السرية الاسرائيلية».

ونقلت صحيفة «الفاريان» مقتطفات منه وصورة لاسحق شامير وهو يصوب سلاحا من طراز عوزي.

ووصف احد عملاء المخابرات الالمانية «الموساد» بانه من اخطر اجهزة المخابرات بسبب قسوته وفظاعته في شل الاعداء واستعداده للقتل.

وورد في الكتاب ايضا ان الكثيرين يعتقدون بان «الموساد» نفذ عملية اغتيال «ابو اياد» في تونس.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر الاربعين للانتفاضة

تدخل الانتفاضة هذه الايام شهرها الاربعين وسط اجراءات اسرائيلية شديدة، وقطع اوصال مدن الضفة ببعضها وكذلك قطاع غزة. وقد تعمد الثرى الفلسطيني خلال الشهر الماضي بدماء (١١) شهيدا. وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة الى (١٠٤٤) شهيدا.

وفيما يلي قائمة باسماء شهداء الشهر الماضي:-

الجمعة ١٩٩١/٣/١

- نجيب مصطفى عيسى سحويل (٢١ عاما) مخيم جنين، اصيب يوم ١١/٣٠ خلال اشتباك مع القوات الاسرائيلية في المخيم. وقد نقل الى مستشفى رمبام في حيفا ومن ثم حول الى مستشفى الاتحاد بنابلس.

الاربعاء ١٩٩١/٣/٦

- عدلي عبد اللطيف صالح البرغوثي (١٨ عاما) قرية دير غسانة/رام الله، اصيب بعدة عيارات نارية وهو في ساحة مدرسته.

الجمعة ١٩٩١/٣/٨

- عبد الله موسى جبر (٢٤ عاما) القدس. متأثرا بمضاعفات الضرب الذي تعرض له بعد اعتقاله في ١٩٩٠/١٠/٩، اثر احداث الاقصى واستمرار اعتقاله ٣ اشهر.

الاحد ١٩٩١/٣/١٧

- حسن علي عبد اللطيف عيسى (٦٠ عاما) قرية سالم/نابلس، متأثرا بجراحه التي كان قد اصيب بها قبل حوالي اربعة اشهر، وهو يعمل سائقا في بلدية نابلس.

الثلاثاء ١٩٩١/٣/١٩

- حسام حسونة عطا الله (١٣ عاما) حي الشيخ عجلين/غزة. صدمته سيارة عسكرية يوم ٣/١٠ بينما كان يغادر مدرسته في الحي.

السبت ١٩٩١/٣/٢٣

- حسين حسين جهاد (٢٠ عاما) مخيم نور شمس/طولكرم. اصيب بعيارات نارية اثناء المواجهات التي شهدها المخيم.

الاحد ١٩٩١/٣/٢٤

- عطية خضر جعفر (١٥ عاما) حي الشجاعية/قطاع غزة. متأثرا بالجراح الخطيرة التي اصيب بها يوم ٣/٢٢، حيث اخترقت رصاصة وجهه واستقرت في دماغه.

- ناصر عبد الفتاح اسماعيل الطميزي (٢٨ عاما) اذنا/الخليل. اكتشفت جثته في بئر بمحاذاة القرية، وكان اختفى منذ ٣/٤، ووجدت عليه آثار تعذيب.

الاربعاء ١٩٩١/٣/٢٧

- سامي زايد سالم عبد العال (١٩ عاما) رفح/قطاع غزة. اصيب بالرصاص في رأسه.

الخميس ١٩٩١/٣/٢٨

- سعيد عودة ابو مر (١٢ عاما) رفح قطاع غزة. اصيب بالرصاص في رأسه.

الاحد ١٩٩١/٣/٣١

- اياد ابراهيم عبد الرحمن عبد الرازق (١٧ عاما) مخيم طولكرم. اصيب بالرصاص.

واسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني واهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

على مياه نهر الفرات

احسان مصطفى

مشكلة العرب مع المياه ليست وحيدة الجانب، فهي مشكلة مع تركيا بقدر ما هي مشكلة مع اسرائيل، واذا عرفنا بأن ثلثي العالم العربي (باستثناء المغرب) يعتمد على مياه الانهار التي تنبع من بلاد لا تتكلم العربية، وان ٢٤٪ من هذه الدول ليست لديها انهار تتدفق بالمياه على مدار السنة، واذا عرفنا ايضا ان الارتباط وثيق بين الامن المائي والامن الغذائي اللذين لا ينفصلان بدورهما عن الامن العسكري، نستطيع ان نتبين مدى الاهمية القصوى التي يجب ان نوليها لمسألة مصادر المياه في نهر الفرات الذي ينبع ويمر ويصب في ثلاث دول هي تركيا وسوريا والعراق.

ومع بداية عام ١٩٩٠ فتحت قضية الامن المائي باعتبارها واحدة من قضايا التسعينات الاساسية، فالتحكم التركي بمياه نهر الفرات ادى الى نقص حاد في المياه في سوريا التي تشم المجرى الاوسط والعراق الذي يشم المجرى الاسفل والاطول في هذا العصب الحياتي الهام للبلدين العربيين، قد هدد الامن والاستقرار الزراعي والغذائي والمائي والكهرباء في البلدين بدرجة كبيرة مما ينذر بتهديد آخر للسلام في منطقة الشرق الاوسط غير التهديد الاسرائيلي.

نهر الفرات:

ينبع هذا النهر من هضبة الاناضول في تركيا ويبلغ طوله من منبعه الى مصبه نحو ١٦٧٥ ميل (٢٦٨٠ كيلومتر) ويصب في الخليج العربي فيما يعرف بشط العرب بعد التقائه مع نهر دجلة وتكوين شط العرب الذي كان مدار صراع ونزاع بين ايران والعراق وادى الى حرب استمرت ٨ سنوات بينهما، ويبلغ طوله من منبعه في تركيا الى نقطة دخوله الاراضي العراقية اكثر من ١١٠٠ كيلومترا، ويبلغ متوسط الجريان السنوي لمياه الفرات ما بين ٢٧ - ٣٠ مليار م٣ في السنة.

Digitized by Birzeit University Library

مشكلة العراق وسوريا مع تركيا على اقتسام مياه الفرات:

ان هذه المشكلة الخطيرة التي تحاول تركيا من خلالها ممارسة ضغوط سياسية واقتصادية على العالم العربي وخاصة سوريا والعراق بل هي تحاول استغلال المياه كمصدر للثراء يوازي النفط العربي من خلال اعلانها عن استعدادها لبيع المياه للخليج العربي والسعودية رغم المشاكل القائمة مع العراق وسوريا كما اعلنت مؤخرا عن استعدادها لبيع المياه الى اسرائيل ايضا.

وقد تفجرت المشكلة عندما اعلنت تركيا عن نيتها اقامة ٢٢ سدا تركيا على نهر الفرات اكبرها هو سد اتاتورك الذي يبعد ٦٠ كيلومترا عن الحدود السورية وسينتهي العمل فيها في عام ٢٠٠٥ وسوف تروي هذه السدود ٦٥٠٠ مليون م٣ من اراضي تركيا وسوف تولد ٢٧ بليون كيلو واط من الكهرباء في السنة، وهذا يعني باختصار قطع مياه الفرات عن سوريا والعراق ويخل ايضا بالاتفاقيات الدولية بشأن تقاسم مياه الانهار في الدول التي تجري فيها هذه الانهار وهو ايضا يضر بالعلاقات العربية التركية التي تتسم بالعلاقات الحسنة سياسيا واقتصاديا.

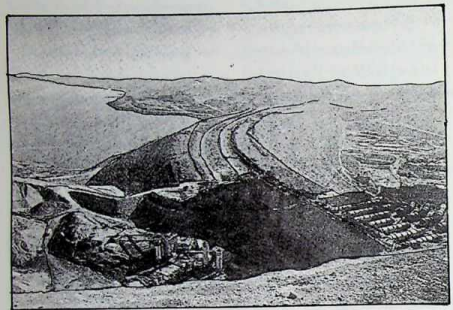

● سد اتاتورك بمثابة انقلاب جيولوجي بالنسبة لنهر الفرات.

سد اتاتورك وتأثيراته السلبية على سوريا والعراق:

في ١٣ كانون الثاني عام ١٩٩٠ قام تورغوت اوزال رئيس جمهورية تركيا بتحويل مياه الفرات معلنا عن بداية تعبئة بحيرة مياه اصطناعية ضخمة وراء سد اتاتورك وقطع المياه عن سوريا والعراق بنسبة كبيرة، ويعتبر هذا السد تاسع اكبر سد من نوعه في العالم، ويبعد عن الحدود السورية ٦٠ كم وتبلغ مساحة بحيرته الاصطناعية ٨١٧ كم مربعا ويبلغ ارتفاع السد ١٧٠م ويمتد جداره على شكل هلالي بطول ١٩٠٠م، وسوف تكرر تركيا قطع مياه الفرات مرتين اخريين من اجل ملء بحيرة السد، مما يعيد الازمة مرتين على الاقل مستقبلا.

ويحتاج الاتراك الى ٣٠ مليار م٣ للبدء بتشغيل اول وحدة لانتاج الطاقة الكهربائية، ويشك الخبراء في ذلك لعدم استطاعة الاتراك التوفيق بين تأمين هذه الكمية وتعهد تركيا بتدفق ٥٠٠ م٣ في الثانية حسب اتفاقهم مع سوريا، وكيل عبد الستار سلمان، وكيل وزارة الزراعة والري العراقي صرح لجريدة "القبس" الكويتية (٢٩ - ١ - ١٩٩٠): "فاذا علمنا ان معدل الجريان الوسطى السنوي لمياه الفرات يتراوح بين ٢٧ و ٣٠ مليار م٣، وان ما يحتاجه الاتراك في الفترة من ١٣ شباط ١٩٩٠ الى ايار ١٩٩١ هو بحدود ٣٠ مليار م٣ للبدء بتشغيل اول وحدة كهربائية تظهر الحقيقة التي نعرفها جيدا، ان كنا نعتبر ان التصريحات التركية بعدم انقاص المياه مرة ثانية هي من قبيل تهدئة النفوس والخواطر".

وقبل بدء تركيا تنفيذ مشروعها كان المعدل السنوي لتدفق مياه الفرات عبر الحدود التركية - السورية حوالي ثلاثين مليار م٣ في السنة. ومع انتهاء العمل بمشروع جنوب شرق تركيا وقيام سد اتاتورك، سوف يحصل نقص كبير في كمية المياه المنسابة الى سوريا، اذ سوف تنخفض بنسبة ١٤ مليار م٣. اما كمية المياه المتبخرة فسوف تصل الى ٣ مليارات م٣، وهكذا يكون مجموع النقص ١٧ مليار م٣ في السنة ويبقى ١٣ مليار م٣ فقط تسير باتجاه سوريا، وتضاف اليها مياه الخابور التي تصل الى قرابة ١,٧ مليار م٣، فيكون المجموع ١٤,٧ مليار م٣ يحصل العراق منها على ٧ مليارات م٣ والباقي لسوريا.

فيما تأثيرات هذا النقص الخطير على سوريا والعراق؟.

الجواب البسيط لهذا التساؤل الكبير هو موت الارض الزراعية على ضفاف الفرات السورية والعراقية، والجواب المعقد هو موت

Digitized by Birzeit University Library

مصادر الدخل لملايين السوريين والعراقيين:

فهل يجوز ان يموت العرب ليحيا الاتراك؟

في السنتين.

ولكي يمكن تصور حجم الكارثة، فان تحويل تركيا لمجرى الفرات لفترة شهر (ابتدأت يوم ١٣-١-١٩٩٠ وانتهت يوم

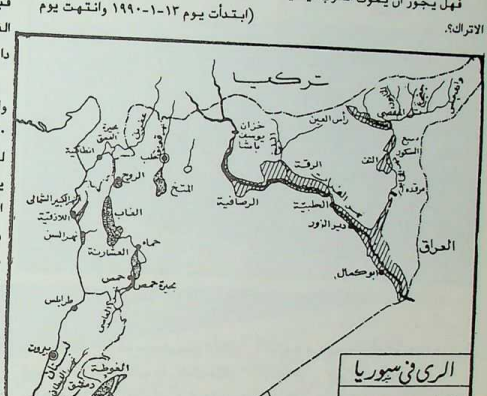

نعود الى مسألة الارقام، فهي حقائق لا تستطيع تركيا انكار وجودها، ان تركيا تحتاج الى ٤٨ مليار م٣ من المياه لملء سد اتاتورك، ويصل متوسط سنوات الفزارة في الفرات الى ٢٦ مليار م٣ في السنة، واعلنت تركيا انها ستحتاج الى سنة ونصف السنة لملء ٣٠ مليار م٣ من بحيرة سد اتاتورك، وهذا يعني انه اذا كان منسوب الامطار في حدة الاقصى، فان تركيا ستأخذ ٣٠ مليار م٣ من المياه في سنة ونصف السنة، ويبقى لسوريا والعراق ما لا يكفي حاجتهما في السنة ونصف السنة واذا ارادت تركيا ان تملأ السد في سنتين (٤٨ مليار م٣) فانه يبقى لسوريا والعراق فقط اربعة مليارات م٣ ١٣-٢-١٩٩٠)، ادى الى انخفاض منسوب مياه بحيرة الاسد الموجودة وراء سد الفرات الى درجة كبيرة بحيث ان سبعة من ثمانية توربينات مولدة للطاقة الكهربائية لم تعد تعمل وتحتاج سوريا الى طاقة كهربائية تتراوح ما بين ٢٦-٢٧ مليون كيلو واط ساعة، وبلغت نسبة الانتاج خلال فترة القطع ٧٥٠ كيلو واط ساعة فقط!.

وفي العراق ستحرم ٨٠٠ الف فدان من الاراضي من الري، وقد يضطر العراق الى اغلاق اربع محطات لتوليد الطاقة الكهربائية عند سد القادسية، وهي محطات تنتج ٤٠ في المئة من الطاقة الكهربائية الواقية.

اثار سلبية ضارة

وبالتدريج ستظهر الاثار السلبية الضارة نتيجة قطع المياه عن الفرات، وتقطع مياه الفرات اكثر من ١١٠٠ كيلومتر قبل ان تدخل الاراضي العراقية، ومياه الفرات هي التي تسيطر على سد الطبقة داخل الاراضي السورية.

وقبل قطع تركيا مياه الفرات اطلقت ولفترة خمسين يوما كمية من المياه بلغت ٧٥٠ م٣ في الثانية، بدلا من ٥٠٠ م٣، لتوفير مخزون احتياطي، لكن العراق لم يستفد من الكمية لان مخزون المياه في سد القادسية مكتمل، ولم تستطع سوريا والعراق معالجة انخفاض منسوب المياه في مجرى الفرات خلال فترة القطع التركية لعدم وجود سدود بين الحدود السورية العراقية وسد القادسية، وتعرضت المنطقة لاضرار جسيمة سوف تظهر اثارها في المواسم المقبلة والمنطقة المذكورة واسعة وفيها عدد من المنشآت الصناعية، اضافة الى الاحتياجات الزراعية والسكانية للمياه.

ان كل مليار مكعب من المياه يروي مساحة ٢٠٠ الف دونم من الاراضي الزراعية ونقص مليار م٣ يعني نقصان ٢٠٠ الف دونم من الاراضي الزراعية، ويبلغ مجموع الاراضي القابلة للارتواء في حوض الفرات، في تركيا وسوريا والعراق، ٧٧٨ مليون دونم، وتبلغ مساحة الاراضي التي تزرع سنويا ٣٧٢ مليون دونم، وبذلك ستكون الاراضي التي ستخرج من الانتاج ما بين مليون وثلاثة ملايين دونم، معظمها في سوريا، ثم في العراق.

كارثة زراعية

وبالنسبة للعراق، يقع في حوض الفرات عدد من مراكز المحافظات و ٢٥ قضاء و ٥٠ ناحية وحوالي الف قرية، يسكنها حوالي خمسة ملايين ونصف المليون نسمة،

Digitized by Birzeit University Library

وجميعهم سيتأثرون نتيجة نقص من المياه في نهر الفرات.

وبالنسبة الى سوريا، فان الخطوة التركية في قطع مياه الفرات لفترة شهر جاءت في اعقاب موجة من الجفاف لم يسبق لها مثيل في تاريخ سوريا، ويقول الخبراء ان سد الطبقة لا يحتوي الا على كمية ضئيلة جدا من المياه بحيث يبلغ حجم النقص فيه ثمانية مليارات م٣، وتكمن الخطورة في أن هذا السد يولد وحده ٦٠ في المئة من الطاقة الكهربائية في سوريا، فضلا عن انه يروي منطقة الجزيرة، وهي من اخصب الاراضي، الامر الذي سيحدث ازمة كبيرة.

موجة جفاف في سوريا

ومنذ عشر سنوات تشهد سوريا موجة جفاف، تخللتها سنتان من منسوب مياه مرتفع. ففي عام ١٩٨٨ كان معدل الامطار مرتفعا، وانتجت سوريا حوالي مليوني طن من القمح ومليوني طن من الشعير، وفي العام الماضي ١٩٨٩، انخفض معدل الامطار، فانخفض الانتاج الى ١،٣ مليون طن من القمح والى نصف مليون طن من الشعير.

ثم ان انخفاض منسوب المياه في الانهار يؤدي الى زيادة الملوحة في المياه، ويقدر الخبراء ان يؤدي نقصان المياه في حوض الفرات الى زيادة الملوحة وخروج ٤٠ في المئة من الاراضي الزراعية في حوض الفرات من الاستثمار الزراعي، اي ما يساوي ١،٣ مليون دونم، كما ان ارتفاع الملوحة يضر بالمشاريع الصناعية وبماء الاستخدام المنزلي.

لقد ابتدات قصة الفرات بين سوريا والعراق وتركيا عام ١٩٦٢، ففي تلك السنة بدأت مفاوضات بين الدول الثلاث للوصول الى اتفاق نهائي بشأن اقتسام مياه الفرات، ولم تسفر المفاوضات عن نتيجة ملموسة.

وفي عام ١٩٨٧ وقعت سوريا وتركيا بروتوكولا خصص لسوريا ٥٠٠ م٣ من المياه في الثانية مقابل وعد سوري باتخاذ اجراءات مناسبة لمنع تسلل الاكراد الى الاراضي التركية، حسب ما تقول بعض الانباء.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٩ ابلغت انقرة كلا من دمشق وبغداد بقرارها قطع مياه النهر، وسمحت بتدفق ٧٥٠ م٣ في الثانية لتمكين الدولتين من تخزين مياه اضافية، لكن كل دولة حصلت، اثناء فترة القطع على ربع الكمية التي كانت تحصل عليها في السابق.

وترفض تركيا تشكيل لجنة ثلاثية تعالج المشكلة من كل جوانبها، وتصر على وجود لجنة فنية ثلاثية لا تملك حق الحسم ومناقشة النقاط الحساسة في مشكلة الفرات، ومن المشاكل التي اثارتها تركيا، ومنذ البداية، انها تريد ان تربط حوض الفرات وحوض دجلة وجعلهما حوضا واحدا من الناحية الفنية، بينما يعتبر العراق ان كل حوض منفصل عن الاخر ولا علاقة لاحدهما بالاخر.

وتحاول تركيا اثارة نقاط لا صلة لها على الاطلاق بمسألة فنية، ففي حين ان الجانب العربي، المتمثل بسوريا والعراق، يعمل على حصر المشكلة في نواحيها الفنية-زراعية وري اراضي ومياه شرب ومستوى معيشة ودخل قومي - فان تركيا ترفض تطبيق اي مثل على تقاسم مياه الانهار الدولية، وترفض التفاوض، وترفض الرجوع الى اتفاق هلسنكي الذي ينظم كل هذه الامور.

ومن هذا الرفض بدأ العرب يشكون في نوايا تركيا، والشك ولد تسييس مسألة فنية.

صحيح ان القانون الدولي قاصر عن معالجة كل المسائل والمشاكل المتعلقة بالانهار الدولية، لكن الاتفاقيات الثنائية والجماعية لم تقصر ابدا في هذه الناحية.

ويقول خبير بريطاني ان سد اتاتورك بمثابة انقلاب جيولوجي بالنسبة لنهر الفرات لانه سيؤثر جذريا على منسوب المياه التي تتدفق نحو سوريا والعراق.

والاستثمار الضخم الذي بدات تركيا بتنفيذه على نهر الفرات تم في غياب اتفاق دول يحول مياه النهر وطرق الاستفادة منه لكل دولة على حدة.

لكن هل يرتبط العناد التركي برفض الوصول الى اتفاق يسمى مشروع "انابيب السلام"؟.

عرض الاتراك على بعض الدول العربية نقل المياه اليها عن طريق مشروع اطلقوا عليه اسم "انابيب السلام"، وعهدوا بدراسته الى شركة اميركية متخصصة في ميدان استثمار المياه ومشاريعها.

وتتألف "انابيب السلام" من خطي انابيب ينطلقان من نهري سيحون وجيحون احدهما يصل من تركيا الى الكويت والسعودية وقطر والامارات، وهو الخط الشرقي، وثانيهما يصل من تركيا ويمر في سوريا والاردن والضفة الغربية الجزء الغربي من السعودية، وهو الخط الغربي.

ويحتاج المشروع الى عشرين مليار دولار لتنفيذه.

وقال تورغوت اوزال، رئيس تركيا، "ان مشروع خط انابيب السلام الذي نهدف منه الى تزويد منطقة الخليج بالمياه التركية، مازال مطروحا على بساط البحث ولانزال ننتظر الردود، ان هذا المشروع ليس للانتفاع من مصادر المياه المحلية، بل ليكون رمزا للتعاون والتفاهم بين بلدان المنطقة".

Digitized by Birzeit University Library

نظرة العراق المستقبلية لمياه الفرات:

ان العراق هو الدولة الوحيدة التي يوجد لديها فائض مائي حاليا، وبالطبع الدولة الوحيدة التي يوجد فيها تدفق دائم للمياه(١) السطحية على مدار السنة، ويبلغ التدفق السنوي للمياه السطحية في العراق نحو ٦٨ مليار م٣، منها ٤٢ مليار م٣ من نهر دجله و ٢٦ مليار م٣ من نهر الفرات. الا انه لن يستمر هذا الفائض طويلا نتيجة لاقامة السدود والسحب المتزايد من الدولتين اللتين يمر النهر في اراضيهما وهما تركيا وسوريا، ومن بوادر الخطر المحدق هو ان العراق الذي ينعم بفائض مائي حاليا سيصل الى وضع يعاني فيه من نقص مائي واضح في غضون السنوات العشر القادمة بسبب المشاريع المائية التي تقام في اعالي نهر الفرات او قرب المنبع وعلى الاخص سد اتاتورك الذي يجري بناؤه حاليا في تركيا قرب الحدود السورية التركية والذي سيحجز ١٠ بلايين م٣ من مياه النهر سنويا مما سيؤثر على كمية المياه علاوة على جودتها والمشاريع الزراعية الكبيرة المعتمد عليها وكذلك محطات توليد الكهرباء المبنية على النهر لتوليد الطاقة اللازمة للمشاريع الصناعية الكبيرة الموجودة في اراضيه، واذا اضفنا نظرة كل من الكويت والاردن الى العراق كأحد المصادر المائية (المياه العذبة) المحتملة لحل مشاكل نقص المياه فيهما، فان التحكم التركي في مياه هذا النهر اضافة الى التحكم في مياه نهر دجلة الذي ينبع ايضا من الاراضي التركية مستقبلا سيعمل على تدمور العلاقات التركية/العراقية المتدمورة اصلا في الوقت الحاضر نتيجة اغلاق خط انابيب النفط العراقي الموصل الى تركيا وتعاون الدولة الاخيرة مع الولايات المتحدة في قضية ازمة الخليج الراهنة.

ان الخطر الجدي لا يتعلق بقطع المياه وحجزها لمدة شهر واحد، وانما بمستقبل استفادة العراق من هذا العصب المائي، فما قامت به تركيا يعتبر ايذانا ببداية حرب مائية طويلة، قد تكون المياه فيها عامل ضغط سياسي، ويأتي سد اتاتورك الذي كان سبب انقطاع الماء يشكل جزءا من مشروع جنوب الاناضول، الذي يشتمل على ٢٢ سدا اكتمل العمل في اثنين منها وهناك ١١ سدا تحت التنفيذ، اما الباقي فهي قيد التخطيط، وعند اكتمال المشروع عام ١٩٩٥ فانه سيؤدي الى انقاص المياه عن سوريا والعراق بنسبة ١٤ مليار م٣ سنويا، مما يؤدي الى تصحر الاراضي المحاذية للنهر وتصبح جزءا من الصحاري الواسعة الممتدة على ضفاف النهر الشرقية والغربية وتتلوث المياه القادمة وتزداد ملوحتها وتقل جودتها وتعيق عملية الملاحة النهرية في بعض اجزاء النهر، ناهيك عن الاضرار البيئية الناتجة عن قلة المياه القادمة للاهوار في جنوب العراق وتهديد المحميات المائية والاراضي الرطبة وما فيها من حياة نباتية وحيوانية تعمل على اخلال التوازن البيئي في تلك المناطق.

وقد قدر العراق وهو الاكثر اعتمادا على النهر من سوريا بأن كل مليار مكعب من النقص في المياه سيؤدي الى تصحر ٢٦٠ الف دونم من الاراضي الزراعية. وباختصار

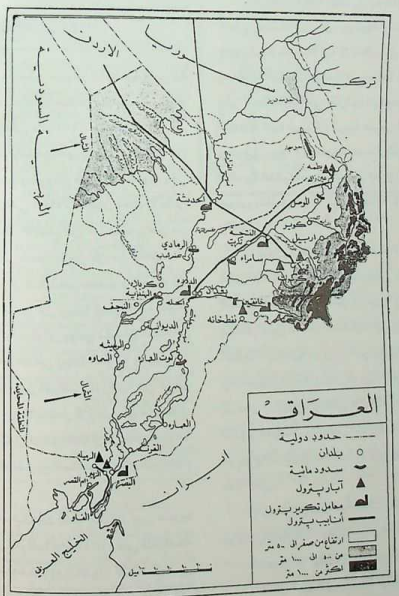

Digitized by Birzeit University Library

فان الاجراء التركي سيؤدي الى اضرار فادحة في المشاريع الزراعية ومشاريع التربية الحيوانية والسمكية ومشاريع توليد الطاقة الكهربائية اللازمة لنهضة العراق الصناعية.

واذا اذعن العراق للاجراءات التركية في مجال مياه الفرات، فان ذلك سيشجع تركيا الى التصرف بنفس الشيء في مجال التحكم في مياه نهر دجلة الذي ينبع ايضا من الاراضي التركية، مما يجعل العراق تحت رحمة تركيا مائيا وهذا ما لن يسمح به العراق، حفاظا على أمنه المائي والغذائي بل والحياة الاقتصادية بصورة عامه.

نظرة سوريا المستقبلية لمياه الفرات:

اذا كان نهر الفرات يجري لاكثر من ١٥٠٠ كيلومترا في العراق فانه يجري لاكثر من ٦٧٥ كيلومترا في سوريا ويخترق الجزء الشمالي والشرقي منها ويروي مع روافده الخابور والبليخ اكثر من ١,٥ مليون فدان من اراضي الجزيرة التي تعتمد في جزء كبير جدا من زراعاتها على الري من مياهه.

وعلى الرغم من وجود انهار عديدة في سوريا الا ان نهر الفرات يعتبر سيد هذه الانهار واكثرها اهمية ومساهمة في الاقتصاد الزراعي السوري حيث يمثل مع روافده الخابور وبليخ اكثر من (٢) ٩٠٪ من مجموع التصريف السنوي للانهار في سوريا.

ان ما يقرب من نصف مساحة سوريا هي اراضي صالحة للزراعة وتعتمد هذه الزراعة في جزء كبير منها على الري من مجاري الانهار وعلى الاخص نهر الفرات وروافده وكذلك على السدود المقامة على هذا النهر وغيره من الانهار بينما تعتمد بقية الزراعات على الامطار التي تسقط في فصل الشتاء.

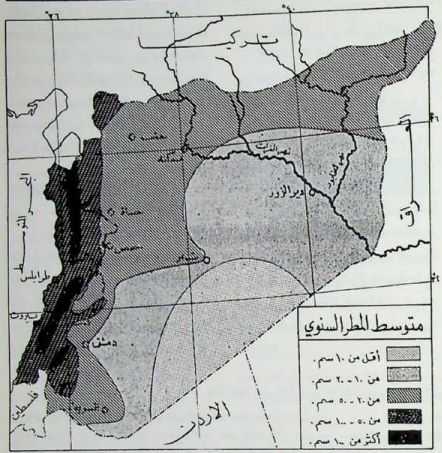

ونتيجة لكبر مساحة الاراضي المزروعة على الامطار، وتذبذب كمية الامطار من سنة لاخرى ووجود بعض سنوات الهطول الضعيف والجفاف في سوريا فقد بدأت سوريا في توسيع المساحات الزراعية المعتمدة على الري وخصوصا على نهر الفرات وروافده الخابور وبليخ باقامة السدود والبحيرات الاصطناعية لحجز المياه واستخدامها في الري وذلك للتقلب على التذبذبات المطرية التي تلحق اضرارا جسيمة بالمحاصيل الزراعية المطرية وكان اكبر هذه السدود سد الفرات (سد الاسد) بين "مسكنة" و"الرقة" على نهر الفرات وذلك لغرض الري وتوليد الكهرباء، كما اقيم سد على نهر الخابور لتخزين المياه في القسم الاوسط من النهر بين "الحسكه" و"راس العين".

واذا كان العراق قد خاض حربا استمرت ٨ سنوات مع ايران على شط العرب ومنطقة عربستان انتهت بخسائر فادحة في الطرفين وهي الان تخوض صراعا مائيا مريرا مع تركيا، فان سوريا هي الاخرى تخوض هذا الصراع المائي على جبهتين هما الجبهة الاسرائيلية في الجنوب الغربي والجبهة التركية في الشمال.

واذا كانت الاضرار التي تتكبدها سوريا نتيجة صراعها مع اسرائيل قليلة نوعا ما فان الاضرار المائية في الشمال مع تركيا هي كبيرة جدا وتؤثر على المساحة المزروعة على الري في شمال وشرق سوريا بشكل كبير، مما يؤدي الى اخراج مساحات واسعة من الاراضي من نطاق الزراعة تقدر بما يساوي ١,٣ مليون دونم كما ان المياه القادمة القليلة تكون اكثر ملوحة واقل جودة مما يضر ليس بالزراعة فقط وانما

Digitized by Birzeit University Library

بالمشاريع الصناعية وبماء الاستخدام المنزلي وتوليد الطاقة الكهرومائية. وخصوصا اذا علمنا بأن سد الفرات يولد ٦٠٪ من الطاقة الكهربائية في سوريا فضلا عن انه يروي منطقة الجزيرة وهي من اخصب الاراضي، الامر الذي سيخلق كارثة زراعية متوقعة.

تساؤلات واستنتاجات:

١) محاولة تركيا مكشوفة لالغاء الاتفاق العراقي - الكويتي القاضي بتزويد الكويت بكمية من مياه الاستخدام المنزلي تتراوح بن ٣٥٠ الى ٧٠٠ مليون غالون يوميا، بالاضافة الى كمية من المياه للاستخدام الزراعي تتراوح بين ٢٠٠ الى ٥٠٠ مليون غالون يوميا من تدفق مياه الفرات بالذات.

٢) رفض تركيا عدم الوصول الى اتفاق مع سوريا والعراق لتنظيم جريان مياه الفرات وتقاسمها بين الدول الثلاث.

٣) هل يحق لتركيا زيادة مساحة ارضها الزراعية على حساب الارض العربية؟.

٤) اليوم تعرض تركيا على العرب شراء المياه، وغدا سوف تغرق الاسواق العربية بفواكها وخضراواتها ومن المؤكد انها ستعرض ايضا بيع العرب طاقة كهربائية، فهل يحق لها ان تقطع الكهرباء العربية حتى تشتري سوريا والعراق الكهرباء منها؟ ولمصلحة من يأكل الصدأ التوربينات العربية المقامة على نهر الفرات في سوريا والعراق؟.

٥) ويقول اوزال انه لا يزال ينتظر الردود العربية على مشروع "انابيب السلام"، فلماذا تأخر وصول الرفض العربي الى الان؟

ان الوعي العربي السياسي، الذي برهن عن ضعف في مواجهة المعضلات امامه لديه فرصة لاثبات ذاته امام تركيا، ولا اقل من ان يقاطع الفواكة والخضروات التركية التي تملأ اسواق المنطقة وان تقاطع تجاريا، وهذه اضعف مساهمة عربية ممكنة لابعاد شبح التجويع عن الشعبين السوري والعراقي.

الهوامش

(١) الوطن العربي د. محمد سعودي، دار النهضة بيروت ١٩٦٧.

(٢) جغرافية الوطن العربي د. فيليب رفله القاهرة ١٩٦٨.

هل تعد اميركا لحرب جديدة بسبب ازمة المياه؟؟

قال مبعوث مصري ان النزاعات بين الدول على امدادات مياه الشرب قد تسبب في قتال جديد في الشرق الاوسط. واضاف سمير محمد الذي حضر مع مسؤولين من اكثر من عشر دول مؤتمرا عن المياه في العالم «ان النزاعات على المياه بين اسرائيل وسوريا والاردن ولبنان وتركيا والعراق قد تؤدي الى توترات جديدة ان لم تكن صراعات مسلحة».

وقال المبعوث المصري لرويتر «اسرائيل في حاجة ماسة الى مزيد من المياه وكذلك لبنان ... فماذا يفعلان؟ ستنشأ نزاعات بسبب المياه وتوتر على الاقل ان لم تكن حرباء.

واضاف قوله ان مشكلات المياه في الشرق الاوسط هي مشكلات سياسية خالصة تقريبا على عكس مناطق اخرى، حيث تكون مشكلات المياه مسائل علمية او هندسية.

وقال «من الواضح ان الحل الامثل هو اقامة هيئة للمياه في الشرق الاوسط على غرار هيئة وادي تنيسي «الامريكية» مهمتها الرئيسية توزيع المياه بعدالة والعثور على موارد جديدة».

وقد اوردت وكالة رويتر (٣/٢٢) تقريرا جاء فيه:-

الشرق الاوسط غني بالنفط ولكن المخاوف تزداد من ان الحرب القادمة في المنطقة قد تكون حول مادة حيوية اغلى بكثير وهو الماء الذي يمكن ان يكون اغلى من النفط عام ٢٠٠٠.

ويحذر من هذا الخطر مسؤولون ودبلوماسيون ومحللون واقتصاديون ويقولون ان تحقيق السلام مطلب اساسي حتى يتمكن سكان الشرق الاوسط من تقاسم موارد المياه التي تتناقص والتخطيط للمستقبل.

وقال ريتشارد ارميتاج المسؤول البارز بادارة الرئيس الاميركي جورج وبش الذي تم تعيينه وسيطا لمشكلة الماء في الشرق الاوسط «ان مشكلة الماء في الشرق الاوسط تقع على عاتقنا».

وقد ترددت في المنطقة عدة تنبؤات منذ سنوات بان مشكلة الماء ستتفاقم ولكنها لم تلق اهتماما. وفي ١٩٧٩ قال الرئيس المصري انور السادات ان السبب الوحيد الذي سيضطر مصر الى الحرب مرة اخرى سيكون الماء.

وقبل ايام اقترح السفير الاردني لدى الامم المتحدة حسين حمامي انشاء منظمة امنية في منطقة البحر المتوسط تضم الدول العربية واسرائيل لمعالجة مشاكل المنطقة ومنها الماء. وقال «اذا لم يتم حل مشكلة الماء فانها ستسبب حروبا في المستقبل».

ومصادر المياه في الشرق الاوسط لا تعرف حدودا. تركيا والعراق وسوريا يتقاسمون مياه الفرات. وسوريا والاردن واسرائيل يعتمدون على نهري الاردن ورافده اليرموك. ومصر تأخذ ماءها من نهر النيل الذي يجري من منابعة خلال عدة دول افريقية قبل ان يصب في البحر المتوسط.

ويلعب الماء دورا مهما في مستقبل الاراضي العربية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وعدد كبير من الابار التحتية التي تعتمد عليها اسرائيل تقع في الاراضي التي ربما تكون وطنا فلسطينيا في المستقبل.

وتصرف اسرائيل في استخدام مواردها المائية بمعدل يتراوح بين ١٥ و ٢٠ في المائة مما ادى الى هبوط منسوب المياه الجوفية وجفاف بعض الابار وزيادة ملوحة المياه. وانخفض الماء في بحيرة طبريا الى ادنى مستوى منذ ٦٠ عاما.

وتلتزم تركيا مشروعا اسمه «انابيب السلام» يتكلف ٢٠ مليار دولار لنقل الماء من نهرين تركيين جنوبا عبر سوريا في منطقة الخليج. ولكن الخطة لن تنجح ما لم توافق الاطراف المعنية على حصصها من المياه.

وتعتزم تركيا ايضا عقد مؤتمر قمة اقليمي في استانبول في وقت لاحق هذا العام لمناقشة كيفية مواجهة المشكلة. ولكن تركيا تثير احيانا غضب سوريا والعراق بتحويل مجرى الفرات لميناء سد اتاتورك الضخم.

Digitized by Birzeit University Library

تساؤلات موجهة..
الى كل من يهمه الامر

حسين عباس

... والان، وبعد ان فتح الجميع الابواب والشبابيك، وخرج (المذعورون) من (الحيدر اتوم) ولم تعد تسمع صوت نحمان شاي، ولا زغاريد نساء القدس والضفة وغزة ... وبعد ان طويت صفحة من صفحات المواجهة العسكرية المباشرة المندرجة في اطار حرب طويلة مازالت قائمة، ولكنها في حالة هدنة مؤقتة.

وبعد ان اعلن العراق قراره بالانسحاب من الكويت كخطوة لا مفر منها امام الهجمة الشرسة التي كانت تهدف الى تدمير مقدرات العراق كافة لكونه يشكل رأس حربة دول الجنوب الفقير بعد هذا، ونتيجة له، وارتباطا به، وبما ترافق معه من مواقف وتغيرات، بات من الضروري التفكير مليا فيما جرى وما يجري، ذلك ان زلزالا كالذي حدث في الخليج يستدعي اعادة النظر في امور كثيرة، والاجابة على اسئلة كثيرة باتت تطرح نفسها بقوة امام الجميع دون استثناء، فالواقع بكل مرارته، والتجربة بكل قسوتها كشفا عورات الجميع، وانابا الثلج، فلم يعد هناك مجال لحجب الشمس او اتقاء حرارتها المذيبة، وعليه فجدير بمن يحمل غرباله ان يرميه جانبا ويعترف بشجاعة بعجزه. ومن الشجاعة ايضا ان نصدق ما يجري وان نقتنع بأن انسحاب العراق كان قرارا حكيما وشجاعا غير مكابر ولا يائس. ومن غير اللائق ان نكون كالانظمة التي اعتادت تزيين هزائمها المتكررة وزخرفة مؤامراتها وتحويلها الى بطولات، بل يجب ان تتم قراءة الواقع بكل دقة وجرأة، وان يستعاد حمل الغربال لا لحجب الشمس بل لغربلة الافكار التي مازلنا في معظمنا نلوكها، مستندين الى انماط جاهزة مسبقا ومعتمدين على تجارب الاخرين، وتاركين لغيرنا مهمة التفكير عنا، ومبتعدين نهائيا عن تفاصيل وديناميكية الحياة الاجتماعية والاقتصادية الجارية في مجتمعاتنا.

ان القراءة الجديدة للواقع تتطلب ان نشهر سلاح النقد البتار الذي لا يرحم، حتى نتمكن من اعادة صياغة معظم افكارنا، واعادة تحديد ادوات تحليلنا وفهمنا للواقع المليء بالتغيرات والمتخم بالصدمات والزلازل.

وخلال تجربة استمرت سبعة اشهر، اتضحت على الصعد كافة، حقائق كثيرة، وتهاوت شعارات عديدة، وسقطت مراهنات متنوعة على اطراف عدة. فقد اصبح من المبرر ان نتساءل ليس عن ازمة،او عن ازمة حركة التحرر الوطني العربية، بل عن وجود حركة التحرر ذاتها، وملامح هذا الوجود وطابعه وشكله واهدافه، خصوصا واننا نشهد حالة اختلاط الحابل بالنابل، حيث لم يترك لنا الحزب الشيوعي العراقي، مثلا، مجالا للتردد في اعتباره جزءا من الجوقة المزعجه في منطقتنا العربية عبر دوره الواضح الفاضح في المحاولات الدؤوبة لاسقاط النظام العراقي. كما لم يترك لنا الصمت المطبق لفصائل حركة التحرر الوطني العربية مجالا للشك في حقيقة ارتباط قسم كبير منها بالبترودولار السعودي والخليجي. والحقيقة المرة التي لا نستطيع انكارها هي انعدام الصلة بين هذه الحركة - غير محددة العلامح - والجماهير الشعبية حيث كان من الممكن لو توفرت هذه الصلة ان تؤول الامور الى غير ما آلت اليه، ولما ظلت الجماهير اسيرة تأثيرات اعلام وايديولوجيا الانظمة المسيطرة.

اما التيار الاسلامي الذي برزت مراهنات كبيرة عليه وعلى قاعدته الجماهيرية خلال الحرب، فقد ثبت انه تيار متردد ومزاود اسقط بيديه الرهان الذي كان مبنيا عليه قبل اندلاع الحرب حتى من قبل ذوي الافكار الاخرى. وقد طبع هذا التيار نفسه بطابع واضح لا شك فيه هو عدم الربط بين الشعار والممارسة، حيث اختلفت نهائيا مجريات الاحداث في الميدان عن الخطاب السياسي والديني الذي مارسه. ففي الخليج عموما والسعودية تحديدا كان له موقف، وفي مصر موقف ثان، وفي تونس موقف ثالث، وفي الاردن موقف رابع، وفي السودان موقف خامس ... الخ، وعليه فقد بات مطلوبا من التيار الاسلامي ان يجيب على الاسئلة المحيرة التي تتكرر كثيرا على السنة الجماهير، مثل ... اي اسلام هو الحل؟.

اهو اسلام مصر كلعب ديفيد والانفتاح الاقتصادي، وشركات توظيف الاموال، ام هو اسلام خادم الحرمين الشريفين الذين تدنسا بعار عربدة القوات الامبريالية مرة، وبعار التخاذل العربي والاسلامي مرة ثانية؟.

ام هو اسلام المجاهدين الافغان الذين تطوعوا الى جانب القوات الاطلسية وادواتها ضد العراق بهدف (تحرير الكويت) كما تطوعوا (هم وغيرهم) لتحرير افغانستان من الشيوعية؟ ام هو اسلام الشعوب التي رفضت الحكومات المسلح لها بالتطوع الى جانب العراق؟ ام هو اسلام المجلس الاعلى

Digitized by Birzeit University Library

للثورة الاسلامية؟! ام هو اسلام آخر؟؟.

ثم كيف يمكن الاعتماد على الجماهير العربية التي يضم التيار الاسلامي قاعدة واسعة منها في اسقاط حلف (اعلان دمشق) في حين تربط هذا التيار بالسعودية والخليج علاقة تاريخية، ذلك انها مسقط الرأس للكثير من تنظيماته، ومصدر الدعم لجميعها؟ كما يحق لنا التساؤل عما يمكنه ان يمنع اي معتد من ان يتعرض مباشرة الى اي من مقدسات المسلمين ويوقف هذا الاعتداء. يحق لنا التساؤل اكثر من مرة وباكثر من سؤال عندما نرى بعد رفع العراق راية (الله اكبر) كراية للجهاد الاسلامي في محاربة الكفر والالحاد ان اول من لبى نداء العراق في استهداف المصالح الامبريالية في العالم كانت الفصائل اليسارية العالمية الموصوفة عادة بالارهابية خصوصا في تركيا والبيرو واليونان واليابان والفلبين وغيرها وتلك حقيقة لا نستطيع انكارها مهما كانت مواقفنا الخاصة من هذه الفصائل) حتى انه في السعودية شهدت عملية عسكرية وحيدة كان المتهمون في القيام باعمال «ارهابية» شيوعيين ملحدين!! وتحت نفس الراية ترفض كوبا قرار مجلس الامن الاخير، المذل للعرب والمسلمين وتمتنع اليمن العربية المسلمة عن التصويت!! يا للعجب!!.

اذا ... فالمسألة تحتاج الى اعادة تحديد لطبيعة الصراع الذي لم يعد صراعا بين الامبريالية والاشتراكية، ولا هو صراع بين الايمان والكفر كما يعتقد بعضنا بل هو صراع بين الشمال الغني بما فيه بقايا الاشتراكية القديمة، والجنوب الفقير الممثل بدول ما يسمى العالم الثالث، وتشير الى ذلك مواقف شعوب هذه الدول وقيادات بعضها خصوصا الموقف الكوبي المميز والمتسق تماما مع ما كان يدعو اليه العراق، خصوصا فيما يتعلق بالغاء الديون، والتوزيع العادل للثروات، والغاء القواعد العسكرية الامبريالية، والتخلص من سيطرة الشركات متعددة الجنسيات، والتعامل مع القوانين والقرارات الدولية بمكيال واحد ... الخ. وهذا التحالف العالم ثالثي يجب ان يشهد بداية تبلوره عربيا اولا خصوصا من الاطراف التي وقفت - معنويا - الى جانب العراق. ذلك ان اسقاط حلف (اعلان دمشق) يتطلب وقفة حازمة لدرء خطر فرض الهيمنة الامبريالية الشاملة -على المنطقة.

وعلى الصعيد الفلسطيني الذي اثبت بما لا يدع مجالا للشك انه اول من يحتاج الى ان يقربل ذاته على الصعد كافة. فقد بات من الضروري ان تعيد فصائل العمل الوطني الفلسطيني قراءة الواقع القائم، واعادة صياغة برامجها السياسية بما ينسجم مع هذه التغيرات الكبيرة، هذه التغيرات التي لا يمكن ان تمر دون ان تهز كثيرا من الاسس القديمة، وان تقلب البرامج راسا على عقب، الى ان تعاد صياغة الخطاب السياسي الفلسطيني العام داخل المؤسسات الرسمية وعلى راسها المجلس الوطني الفلسطيني ... ولم لا؟!.

ان تسارع الاحداث يقتضي اليقظة والحركة، فالخطر الداهم سيلاحق الصامتين ومرتاحي الضمائر! فقد حدث الفرز العربي الواضح وينشط طرفه المعادي بقيادة النظام المصري عبر استخدام خفافيشه التي تتحرك في عمق ارض الانتفاضة سياسيا واعلاميا واقتصاديا، الى جانب النظام الحاكم في السعودية الذي يتكرم بالقاءات والاموال خلف الكواليس، ومن تحت الطاولة. وتنضم الدول الاوروبية الى جوقة الغاضبين على القيادة الفلسطينية ومقاطعتها سياسيا، ودبلوماسيا، والمساهمة في خلق البدائل الهزيلة عبر انعاش دور الاصوات النشاز داخل الساحة الفلسطينية وتقديم المساعدات الاقتصادية من خلالها. وفي ظل هذه السياسة المنهجية تنعدم حتى الان السياسة المنهجية النقيض الواضحة والمحددة التي من شأنها خلق حالة تصد سياسي نضالي كابح لهذه التوجهات الخطيرة. وعلى ذلك فانه لا بد من طرح الاسئلة التالية، لعلها تساهم في التشخيص اولا، وفي وضع العلاج المناسب ثانيا.

اذ ما مدى خدمة الخطاب السياسي الحالي لاهداف وطموحات الشعب الفلسطيني؟ وهل يمكن ان تتوفر استراتيجية فلسطينية شاملة قادرة على التعامل مع القضايا والمتغيرات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية وغيرها تحت اي ظرف من الظروف حتى وان وصلت صعوبته الى مستوى ما تعرض له الشعب العراقي على مدى سبعة اشهر من الحصار والتدمير الشاملين؟؟.

ومتى يمكن ان يحدث اصلاح ديمقراطي حقيقي في مؤسسات م.ت.ف كافة؟ وكيف؟ ومتى يمكن ان تصل اموال الدعم الى مستحقيها؟ وكيف يمكن استخدامها ضمن برامج تنموية حقيقية تحقق الفاعلية الانتاجية والجدوى الاقتصادية اللازمة؟.

ومتى يمكن التوقف عن تقديم التنازلات المجانية، واللهاث وراء اوهام التسوية المشرفة في ظل الهيمنة الامبريالية على المنطقة عسكريا وسياسيا واقتصاديا وايديولوجيا، وفي ظل العجز التام عن القيام بالمهمات النضالية التي تفرضها المرحلة؟؟ لا بد انني لم اذكر تساؤلات اخرى تدور في الاذهان، كما انني قد اكون قاسيا في اسلوب طرحي للقضايا التي هي ليست قضاياي لوحدي ... ولكن مقارنة مع مرارة الواقع وقساوة الظروف، فانني اعتقد انني قد اكون لطيفا جدا. وتبقى الاسئلة مطروحة رغم كل شيء.

Digitized by Birzeit University Library

مع الكتب

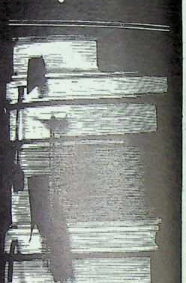

نجاتي صدقي:

حياته وادبه

(١٩٠٥ - ١٩٧٩)

فايز منصور

الكتاب في الاصل دراسة تقدم بها المؤلف ابراهيم محمد ابو هشهش لنيل درجة الماجستير في الجامعة الاردنية، وقد حظيت الدراسة بقدر من ثناء بعض الاساتذة والمختصين في الجامعة الاردنية وبخاصة الاستاذ عبد الرحمن ياغي استاذ الادب الحديث في الجامعة نفسها، وقد دفعني ذلك الى قراءتها قبل نشرها في كتاب، قراءة افادتني في دراستي حول (عارف العزوني: حياته وادبه) التي تقدمت بها ايضا لنيل درجة الماجستير. وقد عقدت العزم حينذاك على عرض الدراسة في احدى الصحف او المجلات لما لها من قيم عديدة: حياتية وتاريخية وفنية، ولكن مشاغل البحث والدراسة حالت دون ذلك. وها انا انتهز فرصة صدورها في كتاب لاقوم بعرضها عرضا يحاول ابراز بعض قيمها، ويسهم ضمن المساهمات العديدة في القاء الضوء على واحد من ابرز قادة الرأي والثقافة في فلسطين قبل النكبة، ويلفت الانتباه الى ضرورة قراءة الكتاب نفسه.

يقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير، وهو من اصدار الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية، وقد صدر الكتاب في ايار ١٩٩٠ بالقدس.

وموضوع الكتاب بالتحديد هو دراسة لحياة نجاتي صدقي وادبه دراسة نقدية اعتمدت المنهج الواقعي في التحليل والتقييم.

ومحتويات الكتاب مقدمة واربعة فصول: تناول الباحث في المقدمة مبررات الدراسة، فنجاتي صدقي "علم من اعلام الثقافة الادبية في فلسطين والبلاد العربية في النصف الاول من هذا القرن على وجه الخصوص، فقد انتج وعلى المضمون الاجتماعي في الفكر والادب اثارا غزيرة نشر قسما منها في تسعة عشر كتابا في مجالات متنوعة ولا سيما القصة القصيرة، والدراسة الادبية والترجمة، والدراسة

Digitized by Birzeit University Library

الفكرية، كما ترك عشرات المقالات في هذه المجالات وسواها منشورة في الصحف الادبية العربية منذ منتصف ثلاثينات هذا القرن حتى اوائل السبعينات". وهو من اوائل الذين رسخوا جذور مدرسة واقعية تستند الى التحليل العلمي في الكتابة الادبية في فلسطين، وقد اشاد الاديب الراحل غسان كنفاني باهمية نظرته الواقعية في تحليله المادي لجوانب من تاريخ العرب الحديث كما اشاد به عدد كبير من الباحثين في الثقافة القومية الفلسطينية؟ هذه المبررات وغيرها دفعت الباحث الى دراسة نجاتي صدقي، لابراز شخصية الرجل الثقافية بالقدر الذي يليق بمكانته الادبية ودوره الهام في بناء ثقافة ادبية وواقعية في فلسطين، واشار الباحث في المقدمة ايضا الى ابرز الدراسات الادبية التي اقتصرت على جوانب من آثار نجاتي صدقي، او اكتفت بنماذج فقط من هذه الجوانب، وتضمنت المقدمة كذلك اشارة للمنهج الذي استخدمه الباحث والذي نظر به الى قصص نجاتي والذي اشرت اليه سابقا، وختم الباحث مقدمته بالاشارة الى سير الدراسة.

وتحدث الباحث في الفصل الاول عن سيرة نجاتي صدقي الحياتية مبرزا شخصيته السياسية بوجه خاص، في محاولة لالقاء الضوء على المضامين الايديولوجية التي انطلق منها نجاتي في عطائه المتنوع المجالات، وقسم الباحث حياة نجاتي الى ثلاث مراحل:

المرحلة الاولى: طفولته ونشأته (١٩٠٥ - ١٩٢٤)، فقد ولد (محمد نجاتي) بن بكر صدقي الاي امين في القدس، وتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة (الصالحية) ثم مدارس (الرشيدية) و (المامونية) و (المكتب السلطاني)، ولم يكن ابوه ميسور الحال، مما يعني ان نجاتي لم يحظ في طفولته بعيشة متميزة،

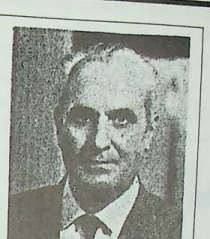

نجاتي صدقي

وقد انخرط نجاتي في الحياة العملية مبكرا، فقد عمل في دائرة البرق والبريد في القدس الذي وفر له فرصة الاحتكاك بالحركة اليسارية في فلسطين، وكانت فاتحة لنشاط سياسي امتد سنوات حافلة بالعمل والنضال عربيا وعالميا.

والمرحلة الثانية: العمل السياسي (١٩٢٤ - ١٩٣٩)، وتبدأ هذه المرحلة بتاريخ انتماء نجاتي لصفوف الحركة الشيوعية في فلسطين في اواخر عام ١٩٢٩، وتنتهي بتاريخ انفصاله عن الحزب الشيوعي في بيروت ١٩٣٩، وقد سافر نجاتي الى الاتحاد السوفياتي للدراسة في جامعاتها بعد ستة اشهر من انضمامه الى الحركة الشيوعية حيث انتخب في اللجنة المركزية للشبيبة. وفي موسكو التحق بجامعة "كوتف"، وتخرج فيها بعد ثلاث سنوات، حيث درس الاقتصاد السياسي والفلسفة الماركسية والاستعمار والمسألة القومية ... الخ، وقد ظهرت لديه في تلك الفترة ميول تروتسكية، وعاد الى فلسطين في العام ١٩٢٩، ونشط في صفوف الحزب الشيوعي الفلسطيني مما اهله لعضوية اللجنة المركزية في الحزب وعضوية المكتب السياسي، واعضاء السكرتاريا الثلاثة في قمة الهرم الحزبي الى جانب جوزيف بيرغر، ومحمود الاطرش، وقد تعرض نجاتي لنشاطه الثوري والوطني لملاحقة سلطات الانتداب البريطاني والى الاعتقال، وشارك نجاتي في العديد من المؤتمرات الشيوعية النقابية العالمية، وتطوع الى جانب الجمهوريين في اسبانيا ضد الجنرال فرانكو، وفي هذه المرحلة تنقل بين دمشق وبيروت مناضلا في صفوف الحركة اليسارية انتهت بفصله من صفوف هذه الحركة.

وحول هذه المرحلة من حياة نجاتي يقول الباحث: "وهكذا انتهت مرحلة هامة جدا من حياة نجاتي ذاتيا وسياسيا وفكريا، فقد تداخلت هذه المرحلة (١٩٢٤ - ١٩٣٩) باحداث هامة عملت على تشكيل نجاتي صدقي الانسان المناضل المفكر الاديب، وشارك هو في صنعها وتشكيلها، سواء بالنهوض بمستوى الحزب الشيوعي الفلسطيني، وذلك بالمشاركة فعليا في تعريبه مما كان له انعكاسات مهمة على الحزب الشيوعي السوري اللبناني او المشاركة في حركة اليسار الاممية في باريس واسبانيا، الموجهة بشكل خاص من اجل الشعوب العربية في فلسطين وشمال افريقيا وسوريا ولبنان".

والمرحلة الثالثة: مرحلة الانتاج الادبي (١٩٣٩ - ١٩٧٩)، وفي هذه المرحلة عمل في محطة اذاعة الشرق الادنى للاذاعة العربية، يبث من خلالها مقالات وأحاديث في مكافحة النازية. وقد عاش نجاتي في فلسطين حتى نكبة ٤٨ منكبا على العمل الاذاعي والانتاج الادبي. ولما انتقلت الاذاعة التي كان يعمل فيها الى قبرص صحبها الى قبرص حتى ١٩٥٠، وبعدها عاد الى بيروت وعمل في الصحافة والادب. وقد توفي في ١٩٧٩/١١/١٧ بعد حياة نقية زاخرة بالعمل والعطاء حيث ترك اثارا غزيرة في القصة القصيرة، والترجمة والدراسة الادبية،

Digitized by Birzeit University Library

والمقالة، والتقارير الصحفية، والبرامج والتمثيليات الاذاعية نشرها في تسعة عشر كتابا.

وتناول الباحث في الفصل الثاني اعمال نجاتي في مجالات الفكر والترجمة والنقد، اذ عرض جهوده في كل مجال من هذه المجالات عرضا حرص خلاله قدر الامكان على كبح جماح شهوة النقد واصدار الاحكام الى نهاية كل مبحث، ففي حديثه عن (نجاتي مفكرا) رتب دراسات نجاتي تاريخيا حسب تاريخ نشرها، ولعل ابرزها دراسته الموسعة حول (الحركة الوطنية العربية من الانقلاب الاتحادي حتى عهد الكتلة الوطنية) التي كانت في الاصل اطروحته المقدمة الى جامعة (كوتف) في شباط ١٩٢٩، والتي نشرها مسلسلة في مجلة (الطليعة) السورية بين ١٩٣٧ - ١٩٣٨، والتي توسع فيها عندما نشرها حتى شملت تاريخ الحركة الوطنية العربية حتى سنة ١٩٣٦. وقد حاول الباحث الوقوف على منهج نجاتي صدقي في معالجة القضايا المختلفة وهو المنهج المادي الواقعي مبينا قدرته على التحليل والتعليل وحوار التاريخ واستقراء حوادثه. وفي معرض تقويم الباحث لمؤلفات نجاتي يقول مشيدا: "يمكن القول ان جميع ابحاث نجاتي، ومواقفه الفكرية... تمتاز بقدرة على حوار القضايا المختلفة من زاوية رؤية تتسلح بالوعي الطبقي، والرؤية الثاقبة التي ترى الشيء وضده في الوقت ذاته، ولذلك ظلت مواقفه وابحاثه محافظة على مستوى ناضج من التحليل العلمي، فضلا عن قيمتها الهامة الاتية من اسبقيتها الزمنية".

اما في مجال الترجمة فقد ترجم نجاتي كتبا تحمل ابعادا سياسية، وكتبا ادبية مثل (قصص مختارة من الادب الروسي) منها قصة لمكسيم غوركي، وقصصا مختارة من الادب الصيني، والاسباني، والامريكي، وفي مجال الرواية ترجم اربع روايات عن الانجليزية والفرنسية، وفي الشعر ترجم عن الروسية، وفي المسرح ترجم اربع مسرحيات، وحول قيمة ترجماته يقول الباحث: "قدم (نجاتي) ادبا عالميا انسانيا غنيا بمضامينه الباقية الداعية لخير الانسان ورفعته وحريته".

واما في مجال النقد فحاول الباحث استخلاص رؤية نجاتي النقدية، وذلك من خلال تتبع مواقف نجاتي النقدية بين النظرية والتطبيق، فنجاتي صدقي صاحب ايديولوجية تقدمية، وقد انسحبت هذه الايديولوجية على رؤيته لجميع مجالات الحياة ونشاطها بما فيها الفكر والادب، فالادب "مرتبط بحركة المجتمع التاريخية".

والادب ليس تسلية لتزجية الوقت، بل يجب ان يكون ملتزما بقضايا امته، وقد انطلق نجاتي في دراساته الادبية من رؤية المادية الواقعية، فقد امتم بالمضمون اكثر من امتمامه بالقضايا الفنية، وهو قد صدر في احكامه عن الفلسفة الماركسية ولعل اشهر دراساته هي: "بوشكين امير شعراء روسيا" و "شيخوف" و "مكسيم غوركي".

وتناول الباحث في الفصل الثالث جهود نجاتي الابداعية في مجال القصة القصيرة، اذ قدم له بمدخل اشار فيه الى ان اول قصة منشورة لنجاتي تعود الى العام ١٩٣٥ وهي قصة "كلوديت".

وقد اصدر نجاتي مجموعتين قصصيتين هما "الاخوات الحزينات" و "الشيوعي الصغير". بالاضافة الى احدى عشرة قصة منشورة في المجلات الادبية لم تتضمنها مجموعاته التي عثر عليها الباحث.

وفي دراسة الباحث لهذا الجانب الابداعي من فيض نجاتي الادبي اخذ مواضيع قصصه عبر سلكها في محاور عامة تشكل القضايا الحياتية التي شغلت نجاتي، ودرسها من خلال البحث عن قيمتها الحياتية وقيمتها الفنية، وحاول تلمس موقف القاص وزاوية رؤيته في النظر الى الاشياء وقدرته على اقامة معمار فني ينجح في توصيل رؤيته الحياتية المتضمنة في هذه القصص. وابرز القضايا السائدة في قصص نجاتي على ما يقوله الباحث هي: الموضوع الفلسطيني، والترجمة الذاتية، والنضال الانساني والمراة، وظواهر اجتماعية سلبية مثل الفساد والزيف والتنكر للطبقة.

وقصصه من وجهة نظر الباحث ذات قيمة حياتية فهي تمتاز في طابعها العام بانها ترسيخ للقيم الواقعية في القصص الفلسطيني "في فترة مبكرة من هذا القرن تبدأ منذ منتصف الثلاثينات، وهذه القيم تصدر عن مضامين ايديولوجية اصيلة الجذور في فكر الكاتب وفي سلوكه الحياتي الذي تجلى في انتمائه لحركة النضال السياسي الاجتماعي في فترة هامة من حياته. والواقعية "موقف قبل ان تكون اسلوبا" انها موقف يكشفه الفن المتشرب بالايديولوجية الواقعية، وليست مواقف ايديولوجية مباشرة، ولقد تمثل نجاتي مواقفه الايديولوجية تمثلا منحه تلك البصيرة في القدرة على النظر الى الحياة من جوانبها المختلفة نظرة تدل على زاوية رؤية ناضجة، تمتاز بقدرتها على رؤية الشيء ونقيضه في المواقع المتناحرة، كما اعطته ذلك الهدوء والتأني وسعة الصدر التي يمتاز بها من يطمئن الى موقعه الراسخ في الوقوف الى جانب الانسان في سعيه نحو الخير والتقدم. ومنحته تلك الواقعية العلمية الخالية من الحماسة الزائدة او التفاؤل الاعتباطي الساذج.

اما قيمة قصصه الفنية من وجهة نظر الباحث فهي "ان الناظر في قصص نجاتي يلاحظ انها تتفاوت قوة وضعفا في توظيفها عناصر القصة الاصولية في بناء قصصي متماسك يقول واقعه ويخدم فنية القصة

Digitized by Birzeit University Library

بشكلها الكلي الذي لا انفصام بين اجزائه ومكوناته في الشكل والمضمون، المستقلة.. وفي كثير من قصصه نجح نجاتي في فنه القصصي نجاحا متميزا، فقد استطاع توظيف عناصره ومكوناته في بناء فني متماسك، تقوم بين اجزائه علاقة عضويه حية تخدم المعنى الكلي التي ترمي القصة الى تحقيقه.. وفي عدد آخر من قصصه كان (نصيبها) من النجاح اقل".

ولاثبات ما ذهب اليه الباحث درس لنجاتي قصصا من المستويين المتفوق والمستوى الهابط).

وتحدث الباحث عن لغة القص عند نجاتي التي تبدو في مجملها لغة واقعية سلسه، خدمت البنية القصصية، اما لغة الحوار فهي غالبا بسيطة ناجحة.

... والفصل الرابع الاخير فقد تضمن خاتمة لخص الباحث فيها اهم ما توصلت اليه الدراسة، وتتضمن ايضا الملاحق التي اشتملت على فهارس ببلوغرافيا اعمال نجاتي، ومصادر ومراجع البحث.

وبعد، فكتاب (نجاتي صدقي: حياته وادبه) جدير بالقراءة وهو يكتسب اهمية بالغة لانه يتناول الاعمال الفكرية والادبية والاعمال القصصية لواحد من ابرز رواد المدرسة الواقعية في الثقافة الادبية في فلسطين خاصة، وفي البلاد العربية عامة في فترة مبكرة من هذا القرن سواء في مجال التنظير الفكري، او الانتاج الادبي في مجال القصة والدراسة الادبية، بالاضافة الى كونه مساهمة نقدية جادة اعتمدت المنهج الواقعي في الدراسة والتحليل والتقييم اعتمادا خلاقا مبدعا تستحق ان تضاف الى الدراسات النقدية الجادة الصادرة في العالم العربي..

اصدارات جديدة

مشروع التطوير الاقتصادي برنامج الامم المتحدة الانمائي

صدر حديثا عن مشروع التطوير الاقتصادي/برنامج الامم المتحدة الانمائي في القدس المطبوعات التالية:-

- محاضرات في الجدوى الاقتصادية:

وهي دراسة تقع في مائة صفحة من القطع المتوسط، وتتناول الجوانب الاساسية في اجراء دراسة الجدوى الاقتصادية مع التركيز على الخصوصيات الاقتصادية في الضفة والقطاع والتي لا بد من اخذها بالاعتبار في حالة القيام باعداد دراسة جدوى اقتصادية.

- القطاعات الانتاجية في الضفة والقطاع، العقبات ومعيقات التنمية:

وهي دراسة تقع في سبعين صفحة من القطع المتوسط.

تستعرض هذه الدراسة السمات الاساسية لقطاعات الزراعة والصناعة، وطبيعة العلاقات بينهما، وامكانية تنشيط هذه العلاقات لخلق اعتماد ذاتي متبادل بين هذه القطاعات، كما تطرح الدراسة المحددات الاساسية التي لا بد من توفرها في منهج تنموي يتناسب مع ظروف الضفة الغربية وقطاع غزة. هذا اضافة الى التأشير الى المجالات التي يفضل ان تحظى باولوية تنموية في هذه المناطق، وهذا بالتطابق مع ثلاث فترات زمنية لتنفيذ العمل التنموي.

- محاضرة حول قانون الضرائب في الضفة الغربية/مقارنة التطبيقات:

وهي دراسة في سبعين صفحة من القطع المتوسط، تتناول الاصل القانوني لقانون الضرائب في اسرائيل. كما تقارن الدراسة بين تطبيق هذا القانون (الواحد) بطرق مختلفة في كل من اسرائيل والضفة والقطاع وحتى الاردن.

- دليل لاعداد دراسات الجدوى الاقتصادية.

وهو كتاب يقع في ٣١٠ صفحات من القطع الكبير من اصدار منظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية/فينا (اليونيدو).

والكتاب عبارة عن دراسة مستفيضة تغطي مختلف مكونات وعناصر ودرجات اعداد دراسة الجدوى الاقتصادية ويشكل هذا الكتاب قاعدة اساسية ودليل لاعداد مثل هذه الدراسة دون تخصيصها لظروف بلد معين او لقطاع اقتصادي معين.

وتعتبر هذه الدراسة مرجع لا غنى عنه لتعليم مساق متخصص في دراسة الجدوى في الجامعات، وكذلك لتوفير الاسس العامة لاعداد دراسة جدوى للمشروعات الاقتصادية.

لمزيد من المعلومات عن هذه المطبوعات يمكن الاتصال بمشروع التطوير الاقتصادي، في الشيخ جراح/القدس هاتف (٨١٠٧٤٩).

Digitized by Birzeit University Library

قراءة

مع الاستاذ يعقوب الاطرش في مجموعته القصصية «وتستمر الحياة»

خالد البطراوي

(١)

مقدمة:

«وتستمر الحياة» - هي المجموعة القصصية الاولى للاستاذ يقعوب الاطرش. لقد صدرت المجموعة عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة في العام ١٩٨٩. صمم غلاف المجموعة الخارجي الفنان سليمان منصور (وتصميمه جاء مستقلا يصلح لاي غلاف كان)، فيما قام الخطاط الاستاذ يعقوب بولس بكتابة الخطوط الداخلية للمجموعة. تقع المجموعة في مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط، وتتضمن سبع عشرة قصة قصيرة تتدرج -كما عبر عنها المؤلف- «عبر حقبة طويلة من الزمن ... تزيد على ثلاثين عاما! من عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٨٧» (صفحة ٨). كما اشار الكاتب الى خلو مجموعته من «اي انتاج ادبي في عهد الانتفاضة، ويعود ذلك الى النية في افراد كتاب مستقل لذلك الانتاج» (صفحة ٨) ثم يضيف الكاتب بأن انتاجه هذا «قيد الاعداد» (صفحة ٨).

اهدى الاستاذ يعقوب مجموعته القصصية الى روح والده في ذكرى رحيله العاشرة، الى «الاديب والروائي والشاعر ... والذي عاش ... محبا ومخلصا للوطن والارض والكتاب» (صفحة ٥ -غير مرقمة-).

جاءت مقدمة المجموعة في صفحات اربع، استهلها الاستاذ يعقوب، بالاشارة الى ان النية في اصدار هذه المجموعة قد وجدت «قبل سنوات طويلة» (صفة ٧)، اذ كانت المجموعة -على حد قوله- من اوائل المشاريع «التي قدمت في اواخر السبعينات الى احدى المؤسسات الادبية لطباعتها ونشرها» (صفحة ٧)، ثم انتقلت الى دائرة الكتاب في جمعية الملتقى الفكري العربي بالقدس، ثم -بعد تأسيس الاتحاد- الى اتحاد الكتاب، الذي تبنى -ايضا على حد قول الاستاذ يعقوب- «برنامجا جادا نشطا

Digitized by Birzeit University Library

لطباعة ونشر انتاج اعضائه ... وكأنما لتعويض ما فات» (صفحة ٧) (التشديد مضاف)

وفي هذا الصدد، فان ذلك هو بداية اختلافي مع الاستاذ يعقوب، وقد يشاركني في ذلك، العديد من الزملاء اعضاء اتحاد الكتاب، اذ انه بالفعل، فقد اصدر اتحاد الكتاب كما من الاصدارات الادبية، الا ان جزءا لا يستهان به، غير صالح للنشر البتة، وكان الاجدر **بلجنة النشر في الاتحاد ان تبدي رأيها بصدده بصراحة.** ان ثناء الاستاذ يعقوب على حركة النشر النشطة هذه، يتناقض مع طموحه الذي عبر عنه في نهاية مقدمته عندما كتب «والذي اخذ على عاتقه (اي اتحاد الكتاب) طباعة ونشر الانتاج الادبي الفلسطيني ... ليأخذ مكانه بين اداب الشعوب ...» (صفحة ١٠).

ايا كان، فانني لست بصدد مناقشة هذه المسألة الان، اذ ربما اعود اليها، برفقة زملاء آخرين في مقالة لاحقة، ان معرض كتابتي اليوم ينصب تجاه المجموعة القصصية للاستاذ يعقوب الاطرش.

لقد اشار الاستاذ يعقوب في مقدمته، الى ان لقصص هذه المجموعة ذكريات خاصة في نفسه، وترتبط «بشكل او بآخر باحداث بارزة من تاريخنا المعاصر ... بدءا من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر ... والى حين بدء الانتفاضة» (صفحة ٨). انني واثناء قراءتي للمجموعة القصصية، وجدت انها بالفعل ترتبط في بعض قصصها، باحداث بارزة من تاريخنا المعاصر، الا ان هذا الارتباط جاء هشا، مباشرا وهامشيا عابرا، وهذا ما سوف اتطرق اليه لاحقا.

يتابع الاستاذ يعقوب في مقدمته، حديثه حول ذكرياته في اذاعة القدس «هنا القدس»، ودائرة العمل الاذاعي الاضافي في الاذاعة اللندنية، وكذلك عمله الصحفي في مجلة «الاسرة» الاردنية، اضافة الى عمله الاساسي في سلك التعليم. يدافع الكاتب بهذا الانشغال عن نفسه، امام متهميه بأنه «مقل في الانتاج القصصي» (صفحة ٩). ثم يعلن عن تفرغه «لكتابة القصة الواقعية ... خاصة وانني عشت وعاصرت وشاهدت بأم عيني احداثا واقعية ... هي اغرب من كل خيال !!» (صفحة ١٠).

عند هذه النقطة يبدأ اختلافي الثاني مع الاستاذ يعقوب، فاذا كان يعتبر قصصه في «وتستمر الحياة» من القصص الواقعية، فانني على النقيض، اجد معظمها قصصا تعتمد على عنصر الصدفة وعلى ترتيب مسبق لنهاياتها وتسلسل احداثها.

والان، فلنكسر الفاظنا عن لب الفكرة كما يقول سميح القاسم، علما بأنني ارغب في الاشارة الى انني لا انقد على الاطلاق، بل اقرأ وافكر بصوت عال مكتوب، حيث ان المجموعة القصصية بصدورها مطبوعة، اضحت ملك القارىء وليست ملكا للكاتب. وعليه فقد قمت بالكتابة، املا ان يتسع قلب الاستاذ يعقوب الكبير -وهذا واضح من قصصه- ان يتسع قلبه لي، ففي فترات سابقة، لم تتسع قلوب كتاب عريقين لقراءات جماعية اجريتها وزملاء لي هم فايز منصور وماجد ابو غوش.

اولا:- نهاية قصة.

كتبت القصة، على ما يبدو، في العام ١٩٥٦، فقد تمت اذاعتها من اذاعة القدس العربية/برام الله بتاريخ ١٩٥٦/٦/١٤ ضمن برنامج «قصة الاسبوع».

القصة باختصار تدور حول وحيد والديه مرض بالسحايا، عجزت العلاجات الشعبية عن شفائه، ثم تماثل للشفاء على ايدي اخصائي حضر مؤخرا الى المنطقة. وتنتهي القصة برضاء والده، الذي يتمتم «الحمد لله، الحمد لله».

القصة استطيع القول، انها ضمن قصص «علم درساء»، تلك القصة التي طالما تأثرنا بها في مدارسنا ومن خلال برامج التلفاز والاذاعة. القصة ايضا تدغدغ العاطفة في اسلوب كتابتها، فالعائلة عائلة مكافحة، عاش الاب «في قريته الوادعة الهادئة، منصرفا الى فلاحة اراضيه .. من حرث وزرع وحصاد ... يتعهدها بالكد والعمل خلال فصول السنة ... لم يبخل عليها بجهد او عرق ... ولم تضن عليه بدورها بالمحاصيل الوافرة ... » (صفحة ١٤). اما زوجته فقد «كانت تقاسمه الحياة زوجة شابة ... عرف بقربها معنى العيش الوادع المستقر ... الذي لا زيف فيه ولا تكلف!... » (صفحة ١٤) ثم يتابع الاستاذ يعقوب «وابتسم لهما القدر حين بدأ الاطفال يتوافدون ... لتقر بهم العيون» (صفحة ١٤). ثم ينتقل الكاتب للحديث حول وفاة الاطفال، وبقاء الابن فتحي وحيدا، وقد شارف الثانية عشرة من عمره، عندما هاجمه صداع الرأس المشؤوم، ثم يقوم الكاتب بحشد مجموعة من العبارات العاطفية التي تجول في ذهن والده «يبقى ابنه يشكو علته ... دون ان يستطيع هو ان يفعل له شيئا يخفف عنه الداء؟ اينقف مكتوف اليدين امام ذبول ولده وعذابه؟» (صفحة ١٥).. «ملامح وجهه الشاحب ... ووجنتاه الذابلتان ... تغتسل في مقلتيه بالدموع وروحه المعذبة البريئة تنهمر في روحه بالالم، حتى يكاد يهجم على ولده ... يضمه الى صدره بعنف، ويحتضنه في قوة، وكأنما لتنتقل الامه واوجاعه ... اليه «ه» (صفحة ١٥).

اما عن بناء القصة، فقد كان الاستاذ يعقوب موفقا، اذ افتتحها بصورة الوالد، يجلس منتظرا امام غرفة العمليات في المستشفى، ثم باستراسله -اثناء الانتظار-

Digitized by Birzeit University Library

في شريط ذكرياته، ثم يلحظه خروج الطبيب ليعلن النبأ السعيد، بنجاح العملية الجراحية، وبعد ذلك ينتقل الكاتب الى ظرف زماني ومكاني مختلفان كليا، حيث كان كل ذلك مجرد قصة يسردها للكاتب العم صالح، ثم ينتقل الكاتب الى مشهد دخول شاب الى المجلس، حيث العم ابو صالح والكاتب، ليشير العم ابو صالح قائلا «هو ذا الغلام» (صفحة ١٨).

ان هذه القصة هي نقطة البداية التي استندت اليها قراءتي اللاحقة:-

ثانيا:- السكرتيرة المطلوبة:-

القصة ايضا كتبت -على ما يبدو- عام ١٩٥٦، اذ انديت من اذاعة القدس العربية برام الله بتاريخ ١٩٥٦/٨/٩ ضمن برنامج «قصة الاسبوع». كما قامت مجلة الاسرة الاردنية بنشرها في العدد ٦٢، آب، ١٩٦٦.

تتحدث القصة عن شغور وظيفة «سكرتيرة» في شركة للمواد الطبية، حيث تنافس على الوظيفة (اثنتان ، الاولى هالة، جميلة، في مقتبل العمر، والثانية «عجفاء ... تخطت الاربعين من العمر ... طويلة الانف ... شاحبة الوجنتين، متهدلة الشعر في غير تنسيق او اغراء ...» (صفحة ٢٢).

تبدأ القصة في قاعة انتظار -تماما كما في القصة الاولى- حيث تنتظر المتقدمتان مقابلة المدير، تسترسل هالة في خواطرها «تماما كما حدث مع العم صالح في ردهة الانتظار في المستشفى»، تقارن هالة بين منافستها وبينها المقارنة عبارة عن مقارنة جمالية، تعبر فيها هالة عن تصوراتها -والتي هي انعكاس لتصورات المجتمع انذاك والى حد ما ولشديد الاسف في ايامنا الحالية- لمواصفات السكرتيرة، فالصفات المحبذة للسكرتيرة «من قوام بديع ... ورصيد محترم من الرقة والاناقة، ومجموعة ازياء رائعة ... من احدث طراز» (صفحة ٢٢).

تتجه منافسة هالة الى غرفة المدير للمقابلة، وتبتسم عند خروجها «في رضا وانشراح» (صفحة ٢٥) الامر الذي يصيب هالة بالذهول

«وانها لا تفهم شيئا مما يدور حولها؟!.

ما الذي حدث؟؟

لماذا خرجت الاخرى فرحة مستبشرة؟!

وكيف سارت المقابلة بينها وبين المدير؟؟.

يا الله ... كيف يمكن تفسير تلك التساؤلات الملحة القلقة ...

التي تدق في رأسها في عنف؟»صفحة ٢٥-٢٦).

ثم تتقدم هالة الى المقابلة و «اتضح كل شيء لها؟ وزال عجبها ودهشتها...! فهناك على كرسي الادارة ... لم يكن يجلس رجل ... وانما امرأة!!». (صفحة ٢٦).

عند هذه النقطة تنتهي القصة، ولعل في ذلك، نهاية موفقة؟ الا انني كقاريء بدوري استفسر، لقد حبك الكاتب القصة لتكون المصادفة متجسدة في كون المدير انثى، فماذا لو كان ذكرا؟ وهل رفضت المديرة هالة لتبرجها ام لاسباب أخرى؟؟ وهل قبلت الاخرى لبساطتها ام لاسباب اخرى؟.

القصة اذن تدخل ضمن قصص «علم درساء، ونهايتها جاءت قريبة الى حد ما من نهاية القصة الاولى، وعليه، فانني -كقاريء- لم المس اي اختلاف في نمط القصة الثانية عن الاولى، بمعنى ان الكاتب قد حافظ على نمط ووتيرة، ولم يجدد. وماذا لو تابعنا قدما؟.

ثالثا:- الام:-

كتبت القصة عام ١٩٥٧، اذيعت من اذاعة القدس العربية برام الله بتاريخ ٢٦/ ١٩٦٧/٣ ضمن برنامج «قصة الاسبوع».

تتحدث القصة في بدايتها عن موت ام عادل «ماتت تلك المسكينة» (صفحة ٢٩)، ويبدأ الكاتب قصته باسلوب مباشر، تماما كما في القصص السابقة، اذ يقول :

«وليس في الموت نفسه ما يثير الغرابة، سيما بالنسبة لعجوز تخطت الثمانين من العمر، ولكن المثير في امر موتها، هو تلك القصة التي طويت ... والتي كانت هي بطلتها .. او ضحيتها .. او سمها ما شئت .. ففي قصتها اكثر من عظة لتستوقف المرء ... وتستحق التأمل ...!» (صفحة٢٩).

ويمضي الكاتب في سرد حديث صديق له عن ام عادل، التي كانت تتردد على البيوت «لتدراً بعمل يديها الكليليتين شبح الجوع والحرمان عنها، تعمل اي عمل، لتحصل على اي اجر ...» (صفحة ٣٠).

وتاتي الصدفة -لاحظوا عنصر الصدفة مجددا- فينتقل صديق الكاتب للعمل في العاصمة، ليتعرف على الوجيه الثري «عادل محسن» -حتى الاسهم كثيرا ما تستخدمه الافلام المصرية- فعادل هذا «احد رجال الاعمال البارزين» (صفحة ٣١). ويكتشف محدث الكاتب ان عادل هو ابن ام عادل الفقيرة، خلافا لمقولة «بأن نجاح الانسان في هذه الدنيا مرده في غالب الاحيان .. الى رضا الوالدين ...» (صفحة ٣٢) ثم يهرب صديق الكاتب «هدبت دون ان القي بتحية او حتى بنظرة نحو ذلك الابن العاق، الذي اساء معاملة الام، ... والذي عاقبته السماء بحرمانه من الابناء ... ليكون العقاب من نفس جنس الذنب .». (صفحة ٣٥).

ثم ينهي الاستاذ يعقوب القصة بقولة «هل كان القدر منصفا ... في حرمانه من الابناء ؟!» (صحفة ٣٥).

الا تتفقون معي ايها الاعزاء، في ان القصة تعتمد مرة ثانية على معرفة الحقائق بالصدفة؟، لم يكن فيها الكاتب، كباقي

Digitized by Birzeit University Library

القصص سالفة الذكر مستمدا الى حديث محدث؟ الا تدخل هذه القصة ضمن القصص الي اسميتها «علم درساء؟ وهل تختلف هذه القصة عن المسلسلات التلفزيونية التي يتحفنا بها التلفزيون؟ هل يعتبر الكاتب هذه القصة ضمن «القصص الواقعية التي تحدث عنها في مقدمة المجموعة؟.

رابعا:- آخر الشهر

تبدأ القصة كسابقاتها باسلوب سردي، وهذه مسألة يتميز بها الاستاذ يعقوب في قصصه، اذ يعطي القاريء المعلومات جرعة واحدة، ولا يكشف عن شخصيات قصصه تدريجيا، ولا يدعهم يعبرون عن انفسهم بانفسهم، من خلال تصرفاتهم وحركتهم في القصة.

تتحدث القصة عن موظف يصعد درجات سلم منزله عائدا من عمله، مثقلا بالافكار، يدخل منزله، يتناول طعامه، ثم يتوجه الى «المقهى» ليدخن «نارجيله». ومع ذلك، تستحوذ مسألة تدني مرتبه قياسا بالنفقات جل اهتماءه، ثم يصل الى قرار يقضي بقبول عمل اضافي بأجرة زهيدة، وعندما يتقاضى هذه الاجرة يجد «ولده الرضيع ملقى على سريره، يصرخ ويتلوى من الالم، وقد ارتفعت درجة حرارته وشحب وجهه» (صفحة ٤٢). ان مرض ولده المفاجيء حتم عليه انفاق الاجرة عن عمله الاضافي فـ «الدنانير الاضافية .. تبخرت» (صفحة ٤٣). ويصل الكاتب الى نتيجة مفادها «ان الاقدار التي تسخو على المرء احيانا بالامال العراض ... قد لا تتورع عن سلبه - في قسوة - كل هذه الامال، دفعة واحدة» (صفحة ٤٣).

الا يتفق معي القاريء العزيز، اعتماد الكاتب على الدوام، على عنصر الصدفة في الاحداث والافعال؟ الا يتفق معي القاريء ايضا، بأن الاستاذ يعقوب، يكتب قصته استنادا الى فترة واضحة، اي انه قبل ان يجلس للكتابة يكون قد خط نهاية قصته في ذهنه. وهل تختلف القصة الحالية عن سابقاتها؟ اليست تأتي ضمن قصص «علم درساء؟ هل تشذ عن نمط الافلام العربية؟ لغاية الان لم المس في قراءاتي اي تغير نمطي طفيف على قصص الاستاذ يعقوب.

خامسا :- ذكريات الشاطيء

القصة كتبت في لبنان عام ١٩٥٨، واذيعت من اذاعة القدس العربية برام الله في العام نفسه، ضمن برنامج «القدس تناديكم».

يتحدث الكاتب في بدايتها، عن فلسطيني توجه مستجما الى منتجع «بكفيا» اللبناني. يسهب الكاتب في وصف جمال الطبيعة وخصوصا شاطيء البحر الابيض المتوسط، الذي يقود هذا الفلسطيني الى ذكريات الشاطيء الفلسطيني للبحر نفسه. ثم يكتشف انه ليس وحيدا في ذكرياته، «فقد كان هناك الى يمينه، وعلى بعد امتار منه، سيدة جميلة في مقتبل العمر ...» (صفحة ٤٨). وتاتي الصدفة هنا، ويدرك انه يعرف هذا الوجه «فقد خيل اليه انه رأى ذلك الوجه .. ولكن اين؟ ومتى؟» (صفحة ٤٨) ثم -وعلى نمط الافلام العربية- يقذف طفل يلعب بالقرب من السيدة بالكرة تجاهه، فتكون فرصة لبدء الحديث مع السيدة، التي تشكره عند اعادته الكرة بالقول «شكرا لك، ومعذرة للازعاج، فاولاد اليوم شياطين ...» (صفحة ٤٨) -تماما كالافلام العربية- ثم عندما يتجاذب والسيدة اطراف الحديث، يجد انها فلسطينية مثله، من يافا، حيث عاش هناك «يا للمصادفة». ويمضينا في حديث اشبه ما يكون بخطاب سياسي، وهنا يتضح ما ورد في مقدمة الكاتب، عن ربط القصص باحداث تاريخية، ويأتي هذا الربط -كما ذكرت سابقا- بصورة هشة وهامشية، اذ تقول السيدة انها «من فلسطين التي كانت ضحية القدر والعدوان» (صفحة ٥٢) ويشجعها هو بقوله «اطمئني يا اختاه .. ان يافا عروس فلسطين ... التي هي قطعة غالية من وطننا العربي، ... الا تؤمنين بالعودة اليها، مهما طال الزمن؟» (صفحة ٥٢) فتجيب السيدة «ربما، ولكن كيف وشريعه الغاب تسود هذا العالم المضطرب؟ وحيث تنفسر فيه مبادىء الانسان وحقوقه حسب الاهواء، وقد انكرت في فلسطين ... واهينت في الجزائر، واجهضت في السويس؟!؟» (صفحة ٥٢). ويتابع الكاتب خطابه السياسي على لسان هذا الفلسطيني بالقول «ان الوضع اليوم غيره عام ١٩٤٨ ... ثم ان رياح التغيير تهب باستمرار ... مبشرة بمستقبل واعد وحياة افضل» (صفحة ٥٢).

ثم تغادر السيدة برفقة زوجها وولده، وبعد مغادرتها -وتماما كالافلام العربية- يتذكر صاحبنا انها «سوسن ... تلك الطالبة الجميلة الخجول التي كانت تقابله في يافا وهي تسير الى معهدها ... وهو في طريقه الى كليته ...» (صفحة ٥٣). ثم ينهي الكاتب قصته بالقول «هل نلتقي هناك ثانية ... على ارض يافا الحبيبة؟!.» (صفحة ٥٣).

بالطبع لقد لمست في القصة بعض الاختلاف، اذ انها لم تعلمنا درسا على الاطلاق، الا انها لا تختلف عن سابقاتها، فهي تعتمد على عنصر الصدفة، كما وزجت بها احداث سياسية، وعليه فان الكاتب قد حافظ في قصته الخامسة على رتابة نمطه القصصي.

سادسا:- قارئة الكف

كالعادة، يستمع الكاتب فيها الى قصة

Digitized by Birzeit University Library

يرويها له صديقه، الذي لا تنضب جعبته من اخبار بتاتا. وكما حدث في السابق، يروي هذا الصديق القصة، في باحة انتظار في المستشفى ينتظران عيادة جار عزيز يرقد هناك.

القصة كتبت عام ١٩٥٨، وتبدا احداثها عام ١٩٤٥، وتتحدث في بدايتها عن سامي، باسلوب سردي ولا تظهر مطلقا حركته وتصرفاته، فهو «شاب ذكي، وسيم على قسط وافر من الثقافة ... كان محبوبا من جميع اهله واصدقائه ومعارفه، لما كان يتحلى به من اخلاق حميده وروح عالية وتواضع جم ...» (صحفة ٥٧)، وسامي ايضا يعمل «في مركز مرموق في مكتب السكرتارية الخاصة لعموم فلسطين» (صفحة ٥٧) واضاف لنا الكاتب معلومة، بأن السكرتارية هذه «كانت تشغل مبنى فندق الملك داوود بالقدس» (صفحة ٥٧).

ثم ينتقل الكاتب للحديث عن شقيقه سامي فهي «شابة ... تحنوه بعطفها وتغمره بمحبتها، وتتعهده بعنايتها الفائقة ... كانت تحبه اكثر من نفسها ..» (صفحة ٥٧). وقد تعلمت شقيقته قراءة الكف وتمكنت من «كشف خفايا الايام» (صفحة ٥٧) وعندما قرأت كف شقيقها اعلمته بان «هناك ... هناك حجر ... يعترض طريقك .. حجر كبير ...» (صفحة ٥٩) ولكنها اضافت «ولكنك تتخطى ذلك الحجر» (صفحة ٥٩) ثم تضيف بعد ذلك «ان الحظ ينقطع فجأة ... بشكل غير طبيعي .. دون ان يظهر له اثر؟!» (صفحة ٥٩).

يتابع كاتبنا قصته التي تعتمد على الصدفة واللا معقول، فتتحقق النبوءة الاولى، ويصاب سامي بمرض التيفوئيد، الا انه يتخطاه ويتماثل للشفاء وبذلك يتخطى «الحجر الكبير»، وبعد ذلك يزج الكاتب بحادثة «نسف فندق الملك داوود بالقدس، الذي ذهب تحت الانقاض ... العشرات من الضحايا الابرياء ... وكان من بينهم سامي بحكم عمله» (صفحة ٦٠) ويتابع الكاتب ملقيا خطابا سياسيا «تبكي ذلك الشاب النابه وزملاءه له ذهبوا ضحية الغدر والاجرام! وكان ان انبعثت روح النقمة والغضب، ضد اعمال الارهاب الخسيسة التي تمارسها عصابات مسلحة ... تعيش في البلاد فسادا ... ذهب ضحيتها الاف الابرياء العزل؟!» (صفحة ٦١).

ثم يتوقف صديق كاتبنا عن سرد قصته، عند حضور رئيسة الممرضات طالبة منهم زيارة جارهم العزيز، ويخبر هذا الصديق الكاتب بأن رئيسة الممرضات هذه هي «قارئة الكف».

الم تعتمد ايها الاعزاء، هذه القصة ايضا على عنصر الصدفة واللا معقول؟ هل جاء الكاتب بنمط جديد؟ بالطبع لا. وماذا عن القصة السابعة؟.

يتبع في العدد القادم

دعوة اردنية للمثقفين في العالم الى رفض مخططات الهيمنة الاميركية

دعت رابطة الكتاب الاردنيين المثقفين في الاقطار العربية العالم الى الاحتجاج على امتهان منجزات العقل البشري باستخدامها لترويع الشعوب واجبارها على الرضوخ للهيمنة الاميركية.

وفي برقيات وجهتها في مطلع الشهر الماضي رابطة الكتاب الاردنيين الى روابط الكتاب والادباء اينما كانوا اهاب الادباء الاردنيون بمثقفي العالم بان يرفعوا اصواتهم ضد استخدام القرارت والمبادىء الدولية لانتهاك حرمات الدول وتغيير انظمتها بالقوة لفرض نظام اقليمي في الشرق الاوسط.

وجاء في البرقيات التي صدرت في ختام اعمال المؤتمر الرابع عشر للرابطة "لقد شاهدتم تكنولوجيا الاتصالات تستعرض بفانتازيا سادية طاعون الموت يفتك بالبشر ويقيم الحياة منطلقا عبر منجزات العلوم التي كان من المفروض ان تستخدم في خدمة الحياة ورفاه الانسان وتصفية الجوع والمرض والامية من حياة ملايين البشر في قارات اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية."

Digitized by Birzeit University Library

اصدارات جديدة

ابجدية الحجارة الشعرية

ضمن سلسلة "كتاب فلسطين الثورة" وتحت عنوان "ثقافة الانتفاضة" صدر كتاب "ابجدية الحجارة" للناقد محمد علي اليوسفي، عن منشورات مؤسسة بيسان للنشر والصحافة والتوزيع.

وهو كتاب هام وحيوي، لان كاتبه يتناول قضية الشعر الذي واكب - ويواكب الانتفاضة في الارض المحتلة.

واهمية الكتاب وحيويته ينبعان من امرين: الاول انه يتعرض "بالتحليل النقدي" لظاهرة شعر انتفاضة الحجارة، فيبين مثالبه وما وقع فيه معظمه من زعيق وهتاف. والثاني انه يشتمل على مجموعة كبيرة من النصوص الشعرية المختارة التي تعرضت لانتفاضة "طفل الحجارة" في فلسطين المحتلة.

يبدأ الكاتب تحليله النقدي بمدخل يشرح فيه اختلاط "السياسي" "بالثقافي" في أوقات الاحداث المتفجرة والازمات المشتعلة، اختلاطا يتنازل فيه "الثقافي" عن بعض خصائصه وملامحه لصالح السياسي، حيث "يلجأ المثقف - المبدع - الى التماهل مع "الطارىء" متخليا عن سياق تجربته الفنية واستراتيجيتها باسم الواجب الاني الذي يجعله منساقا للسياسي وقد استوعبه اخيرا، لكن مثل هذه العملية لا تتم الا على حساب القيمة الفنية ما دامت النتيجة هي

استدراك الفعل في صفوف الجماهير عبر ادخال "فعل الجماهير - مقتطعا من سياقه غالبا - في تجربة، احدى صفاتها هي الابداع الفردي".

وحول "استقبال نص الحجارة، يفرز الناقد ثلاثة اتجاهات نقدية: الاول يرى ان الكتابة الادبية ليست "مناورة سياسية" وبالتالي فعليها التأني وعدم ركوب الموجه او الحدث الساخن (اميل حبيبي مثلا). والثاني يرى ان المسألة لا تكمن في الحدث بل في الشاعر، فان وجود شاعر كبير كاف في حد ذاته ليجعله يستوعب حدثا كبيرا. فالمهم هو الشاعر، والقول بحجة الوقت والتأمل قد انتهت باستمرار الانتفاضة (يقول علي الخليلي الشاعر الفلسطيني: لقد اخذت الانتفاضة الوقت الكافي واللازم الذي يمكن ويسمح للاديب المبدع بان يكتب عنها ويستلهم دروسها واحداثها البطولية، ومن يعتقد انه بحاجة الى وقت اخر للكتابة، فهذا يعني انه اما ما يزال مذهولا ومدهوشا، او انه لا يملك القدرة الادبية والفنية").

والثالث هو الاتجاه "الصحفي" الذي امتلات به وسائل الاعلام دعما وتضامنا وتأييدا بصرف النظر عن "قيمة" الشعر نفسه (يقول ممدوح عدوان الشاعر السوري تحت عنوان "ايها الشعراء اكتبوا شعرا رديئا": ليس من الطبيعي مصادرة عواطف الناس واحاسيسهم وانفعالاتهم بحجة المحافظة على الجودة وعلى المستوى، فلتمتلىء المجلات والصحف بالقصائد عن الانتفاضة والحجارة، ولتكن حتى رسائل بريد القراء مليئة بالحديث عن هذا الموضوع شعرا ونثرا. هل نتخذ من شعار الدفاع عن الجودة حجة لحجب الشعر العربي - الذي ليس بالمستوى المطلوب - فتمر الانتفاضة دون ان يكتب عنها الشعراء العرب اكثر من خمس قصائد").

لكن الناقد يبرز وجود اتجاه رابع بين ابناء الارض المحتلة انفسهم، يرون فيه ان شعرهم - الذي يكتب من وفي الارض المحتلة نفسها - هو الجدير بالتعبير عن الانتفاضة (يقول الشاعر اسعد الاسعد: ما كتب حتى الان عن الانتفاضة في الداخل هو الاكثر ابداعا وتعبيرا عن الواقع مما هو عليه الامر في العالم العربي. ويقول على الخليلي: ان المرحلة المقبلة سوف تبرز مجموعة من ادباء الانتفاضة الجدد، ليس فقط من بين صفوف الادباء الذين كتبوا ويكتبون عنها، بل ومن بين صفوف هذا الجيل الجديد الطالع من اللهب، من قلب الانتفاضة").

يتناول الكاتب نموذجا "للقصيدة من المعترك" من محمود درويش في قصيدته

Digitized by Birzeit University Library

التي اثارت زوبعة: عابرون من كلام عابر. فيشرح ظروف القضية التي فجرتها، والزوبعة التي ثارت في "اسرائيل" بسببها متهمة الشاعر محمود درويش بانه ارهابي يدعو لالقاء اسرائيل في البحر ومعاد للسلام ويؤكد الناقد في هذا السياق ان النص المتين، ولدى الشعراء ذوي الحضور الكبير "لم يعان من اي تنازل كبير على الصعيد الفني، بما فيه النسيج اللغوي المتميزوان كانت "عابرون في كلام عابر" - في رأيه - لم تخل تماما من "تقدم السياسي الاعلامي" على قصيدة الشاعر الذي يسميه الكثيرون" رجل المهمات الصعبة في الشعر السياسي الفلسطيني".

ومن "عابرون في كلام عابر" ينتقل الشاعر الى نماذج اخرى تناولت الحجر، معالجا ما تشير اليه القصائد من معان وقضايا. فيرى ان شعر سعدي يوسف هو من ابرز الشعر الذي عالج هذه "الواقعة" بفنية عالية حيث "نجد قصيدة سعدي يوسف في الحدث وخارجه، اي ليست صالحة للقراءة "بمناسبة" ثورة الحجارة فقط

بينما يعود نزار قباني الى ممارسة سلخ الذات من ناحية وتقديس الممدوح (الحجر) من ناحية ثانية.

ويشير الناقد الى العودة الى ايقاع الستينيات في شعر بلند الحيدري، ومحمد الفيتوري وسميح القاسم بما فيه من مكابرة حماسية. فيما احتفظ احمد دحبور "باسلوب غير مباشر في تناوله للحدث"، من تشكيل شمولي يمزج بين اساليب مختلفة، كما فعل عز الدين المناصرة في "يتوهج كنعان" من خلال مزج الحنين بتعدد المنافي والجغرافيا بالاسطورة، دون الوقوع في القصيدة الانية المباشرة.

"جاءت انتفاضة الحجارة لتمكن الشاعر من تفريغ شحناته المكبوتة، سواء تجاه الانظمة بالذم والهجاء (وذم النفس احيانا)، او ازاء بروز حالة بطولية جديدة، وبطل جماعي يتمثل في رماة الحجارة". هكذا يصف الناقد البعد "النفسي للحجر" في قصائد الشعراء. ففي الحجر "معجزة" تدفع الشعراء الى مازوكية وسادية (تعذيب الذات وتعذيب الاخر) واضحتين.

اما "البعد الحماسي" فيتجسد في المدح والهجاء وافعال الامر والمبالغة وتقديس الحجر وتمجيد الموت، المكابرة الطاغية و "نفخ" صورة "طفل الحجارة".

ويتجلى "البعد الديني للحجر" في شعر شعراء العرب في تجاوز الاديان الثلاثة في الاستلهام الذي يقيمه الشعراء. فالحجارة من سجيل والثورة وقودها الناس والحجارة، والطير الابابيل "او كنت تدرى ماسقر، لولافتى يرمي حجر: ممدوح عدوان" ذاكرة لغوية تستدعي القرآن، فالحرد لو يكتب "سورة الطفل والحجر" (وبشر الاعراب ان نصرهم ياتي باذن الله، من طفل ومن حجر) وتستدعي التوارة: داود وجالوت، والوصايا العشر، رب الجنود، القربان.

اما تقديس الحجر فيبلغ مشارف متجاوزة في شعر الكثيرين: ياجل شأنك يا حجر. اصل كل شيء حي. يحيى ينبت الاحجار (ان شئت ان تحيا عزيزا كن حجر: ممدوح عدوان). شعراء ينصحون بترك السلام واستبداله بالحجر (فلتعافوا السلاح ولتمسكوا بالحجارة: نبيل فارس). ويصل العجز والتسليم ذروته (فاستقيلوا يا كبار الشعراء/ليس للشعر لدينا سادة لو امراء/ان للشعر اميرا واحدا يدعى الحجر: سعاد الصباح).

حول "مغالطات الشعر" يؤكد الناقد محمد علي اليوسفي ان "قصيدة الانتفاضة" جاءت معبرة عن "حسن النوايا" وعن احتضان احدى انبل الظواهر في مسيرة التاريخ العربي الحديث، لكنها مع ذلك - في معظمها - تخلت عن السمات والشروط التي تجعل الشعر شعرا اذا استثنينا العواطف الجياشه والمبالغة والهدير اللغوي". وامتلات - كذلك - بمضامين مغلوطة: مثل الموت الجميل، واحتفالية اكفان الشهيد، وتقديس الحجر، وتجاهل سياق الانتفاضة نفسها، وتجاهل انها انتفاضة "شعب وليس "الاطفال" فقط والوقوع في الجزئي دون الكلي، و"بمحاولة بناء انتفاضة مصغرة في الشعر بالحجر لا بالكلمات".

و"مغالطات النقد" عديدة هي الاخرى: الوصفة الجاهزة لمعالجة الحدث الساخن، المغاشلة الزائفة بين الداخل والخارج (الفلسطيني) تفضيل الشعر الرديء ما دام حماسيا ومحرضا، وضع قيم نقدية مدمرة منها افضلية سبق الكتابة عن الانتفاضة" ومنها "عدم وجوب ان تمر الانتفاضة بقليل من الشعر". والنقد في كل ذلك "لا ينتبه الى" ان القصيدة الرديئة تسيء الى الحدث الجليل، حتى وهي "تناوشه"، فضلا عن اساءتها للشعر، وللقارىء".

عن مجلة « ادب ونقد » المصرية
العدد (٨٧)-اذار / ١٩٩١

Digitized by Birzeit University Library

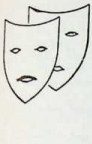

المسرح الفلسطيني وحدة التكوين

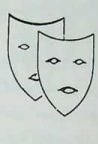

جواد الأسدي*

ينبع التمسرح من ينبوع الفرجة الضاربة في تاريخ الانسان وذاكرته البصرية الماضوية منها والراهنة، التراثية التي سترتدي ثوب القراءة الجديدة والمعاصرة التي تأخذ في التشكل المتراكم عبر احداث عنيفة ينهل المسرح منها ما بوسعه على صياغة الكتابة الدلالية المكثفة والموحية بصريا وسمعيا، والاخراج باعتباره كتابة سينو غرافية تجدد حياة الاشارة وتمنح الجسد فرصة لاعادة استنطاقة بما يخدم الفكر الجديد الموحي، ثم التمثيل الحي الذي يتجنب الادوات الاستعمالية الموروثة والمتقن عليها خطابا والتي تمضي نحو الانشاد الخطابي، كلمة وجسدا... المسرح الفلسطيني والعربي برمته ما زال في الاطار الجنيني الذي يحتاج الى التفجر على صعيد التشكل الكتابي، اقصد اللغة من جهة ومن جهة اخرى موضوع اللغة نفسه، هنا سنعطي للغة دورا جوهريا في اعادة صياغة سياق التفكير في العرض المسرحي، وكما عرفت اسبانيا تفجرات المسرحية عبر لوركا وكاسونا مثلا فان هذا التفجر المرتبط بالحدث السياسي التأرخي العربي يراد له التوهج نفسه، ما يزال المسرح الفلسطيني والعربي يقرفص في قفص مظلم يتطلع الى الحرية والديمقراطية بتعطش ليس له مثيل، كما ان حرية الفكر التي ترتبط بحرية البوح والتفتح ما زالت مهمة وغائبة عن ساحة الصراع العربي، تتربع السلطات العربية على تاج التسلط غير راضية بالتنازل عن ملكوت اقبيتها وعسفها الدكتاتوري السيء الصيت والمسرح الذي لا يمكن ان يزدهر الا في البوح والانفتاح على المشاكل الخطيرة التي تخص الطبيعة البشرية ما زال يؤجل او يتأجل مشروع العرض المسرحي الخطير، الحياة في المجتمع العربي تفتقر الى الحد الادنى من التأنس لان السلطة العربية التي تبرمج مجتمعاتها بما يكفل لها بقاءها الايدي المتفرد الاحادي غير الديمقراطي، سلطات نجحت الى حد كبير في تدجين الفرد وتحويله الى عبد يلهث نحو الرغيف مشغولا بسد حاجته المعوية الى الدرجة التي تعفيه عن التفكير بقضاياه المصيرية، المسرح الفلسطيني والعربي في بعض حالاته ادمان على الابتذال "مدرسة الكوميديا التجارية المبتذلة في المسرح العربي" وفي حالات اخرى توهج نحو النزف المسرحي باستعارة فرجة وعناصر فرجة جمالية جوفاء ومستدرجة من اللغو الجماعي الاوربي وفي حالات نادرة عروض مسرحية تنبىء عن رغبة في الارتباط بالانسان العربي المقهور، ادمنا الخطاب اللغوي في التعبيرات السياسية الحديثة ومشروع حركات التحرر انتقل الى مواقع ومشاريع السلطات والمشروع الثقافي العربي وسط هذه الظلمة المريعة والظلامية المقيتة والاستبداد الابدي ما يزال يتخبط تخبط عشوائيا يشذ عنه شاعر او مسرحي او كاتب او فنان يحاول تقديم صورة لحلمه المقتلع...

لم يحن الوقت بعد كي يكون الفنان المبدع والطليعي طليعيا في دق بوابات السلطات العربية الدكتاتورية مع ان الظروف غير الموضوعية تمنحنا انذارات مريعة لبزوغ ظاهرة المبدع المشاكس، الخالق الذي يتحول خلقه الى حياة تمنح الناس املا جديدا في الانعتاق والتحرر نحو حياة سعيدة، المسرح عندنا مكفهر لان سلطاتنا تريد له هذا الاكفهرار، مسرحنا ضعيف وواهن لانه لم يؤسس لنفسه تراكما يملح في ان يكون نموذجا ومثالا، او ان يكون مظاهرة، ظاهرة او مظاهرة، ممنوع على المسرح ان يتحول الى مظاهرة والمسرح بدون ان يكون مظاهرة سيكون مفعوله لاغيا، المسرح الفلسطيني ممنوع مرتين اولا لانه عربي وثانيا لانه فلسطيني، ولانه فلسطينيا سيتمتع متعة استثنائية بشروط قامعية، العرب يعشقون القضية الفلسطينية، ينومونها تحت اللحاف مع زوجاتهم ويقبلونها بشهية وشهوة قوية تتحول بسرعة خاطفة الى العض او القضم او النهش، العض والقضم على قدر المحبة، كلما احببتك اكثر اقضمك وأكلك بشهية أكبر!! نحبك ايها الفلسطيني... هكذا تهتف السلطات العربية ولكن لا نعطيك مسرحا، نحلم بك ايتها القضية المقدسة ولكن تداولك ممنوع، انت غرامنا الوحيد ولكنك مطلقتنا النهائية، هذا وبهذا يتم تهميش القضايا المهمة، الفلسطينية منها والعربية، كيف يمكن لجسد المسرح الفلسطيني ان يزدهر والخنجر يغوص في ظهره، المسرح

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني في الارض المحتلة يخوض معركة ثقافية مصيرية مع المحتل الاسرائيلي والمسرح الفلسطيني في المنفى يخوض معركة ثقافية مع العقل السلطوي العربي، اما المعركة الثالثة التي يخوضها المسرح فهي مع الجمهور العربي نفسه الذي يغلق الباب على امكانية مناقشة فلسطين من جهات مختلفة، يحلم المتفرج العربي بالبطولة المطلقة، لهذا فالفلسطيني يجب ان يبدو على المسرح سوبرمانيا وغير مهزوم، هل يخون الفلسطيني؟ هل يحب؟ هل يطلق زوجته، ما هي اختلالاته، صموده مع الحدث التاريخي وسقوطه في الحدث التاريخي، ازماته، ومشكلاته!! كل هذا ينبغي ان يضعه المبدع المسرحي على الرف كي يقدم خطابا رنانا عن فلسطين! هكذا تنتهي ذاكرة الجمهور وهكذا تصادر هذه الذاكرة اية امكانية على التفتح نحو طرح حياة الانسان الفلسطيني بكلية جوهرية وبتعددية عميقة في وجهات النظر الانسانية، هل يرتقي مسرحنا العربي الى مستويات جديدة من فهم ميكانيزم العملية الكتابية والاخراجية والتمثيلية، الى اي حد سيمكن سرقة ما يمكن سرقته من الزمن السلطوي العربي والاسرائيلي كي يتم عجن القضية المقدسة بجماليات مبتكرة وبصريات وفرجة ترتبط بذاكرة مجتمعاتنا العربية؟ هذا ما سيكشفه الزمن الاتي...

---

* جواد الاسدي، فنان عراقي، اخرج عددا من المسرحيات والاعمال السينمائية، درس الاخراج المسرحي في الاتحاد السوفييتي، ويقيم منذ عشر سنوات وثيق، في المنافي المختلفة.

مهرجان موتريل لحوض البحر المتوسط/اسبانيا:

ذكريات وانطباعات

(١)

جورج ابراهيم

تعلقنا بالمذياع نرصد حرب الخليج... نرصد المستقبل المجهول.. ومع كل نبرة صوت يطلقها هذا المذياع او ذاك كانت قلوبنا تقفز من مضاجعها تتحرق شوقا والما.. كانت المدينة تحترق وانين جدرانها المتساقطة يدوي في اعماق البشرية ولا من مجيب، وكانت جحافل الحلفاء لا تترك طائرة الا وافرغت حمولتها فوق المدينة الذبيحة.. ولكن المدينة لم ترفع راية الاستسلام وصمدت رغم الدمار، وصمدنا نحن امام المذياع نرصد ونرصد ونرصد، وفجأة رن جرس التلفون وتك تك جهاز الفاكس وجاءتنا الدعوة.. الى اين؟ .. الى اسبانيا.. الاندلس.. الى قصر الحمراء الشامخ في سماء التاريخ.. الى بلدة تبعد عن غرناطة ساعة من الزمان.. الى موتريل التي تحتضن كل عام مهرجانا مسرحيا لدول البحر الابيض المتوسط.. تخيلوا مهرجانا مسرحيا والمدينة تحترق؟.. والضمير الانساني يرقد على فراش الموت ويتلاشى شيئا فشيئا.. ما الذي يقى لنا لنقوله على خشبة المسرح..؟ .. الى من سنتوجه برسالتنا اذا كان الضمير الانساني يصارع زفرات الموت؟ وفي نهاية الامر وكما تعودنا ان نتسلح بالامل.. كانت الموافقة وقررنا المشاركة وبدأنا رحلة العذاب الطويلة رحلة تجهيزات السفر واوراق الخروج وما تبعها من تحقيقات واذلالات وتفتيش حقائب ونظرات حقد واتهامات واشعاعات بنفسجية وفوق بنفسجية واختام حمراء نوصم بها، ذكرتنا باختام عجول الكاوبوي تدل على اصحابها.. وركبنا الطائرة والانظار تتابعنا، وتترصد كل ايماءة منا او الينا.. ولم نتنفس الصعداء الا بعد ان عانقت الطائرة غيوم السماء..

وكان ان هبطنا في مطار مدريد وبدأت الرحلة من جديد.. رحلة الى ربوع الاندلس.. الى الحلم الذي كان يطل علينا كلما مارسنا الخدش في اوراق الزمان وكلما انهمرت علينا امطار وشلالات من عبر وامجاد ومواقف.. وسارت بنا الحافلة تتهادى وابصارنا تتمايل ذات اليمن وذات الشمال تتلمس عالم تستطع خيوط الليل اخفاءه، الى ان طالعنا ظلام دامس استسلمت له جفوننا ورحنا في اغفاءة طويلة لم نخرج منها الا مع اول خيوط الصباح عندما كانت الحافلة قد وصلت الى البلدة المضيفة.. الى مدينة موتريل المدينة التوأم لمدينة الناصرة ومدينة البيرة في الضفة الغربية..

وهنا بدأت رحلة من نوع آخر.. الرحلة

Digitized by Birzeit University Library

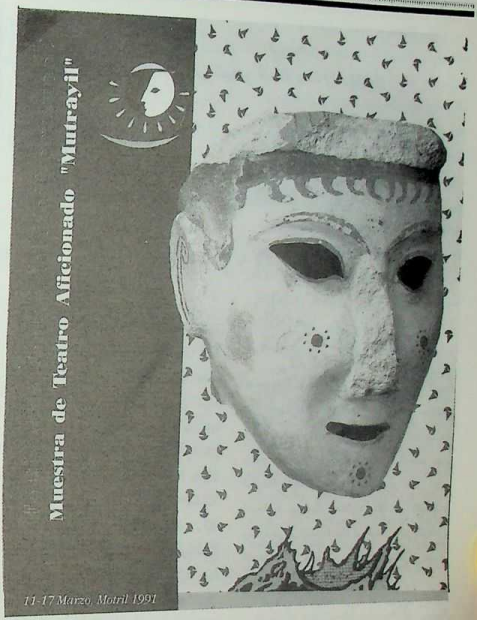

الفنية.. وعذابها الممتع.

كانت مدينة موتريل قد لبست حلة حضارية زاهية.. وازدانت شوارعها بالاعلام والملصقات الفنية، واقيمت في ساحاتها العامة مسارح في الهواء الطلق وخصص قصر النخيل في البلدة مكانا لادارة هذا المهرجان، بالاضافة الى المركز الثقافي مكانا للندوات والمحاضرات التي دارت على هامش المهرجان والتي اشترك فيها اساتذة كبار من دول حوض البحر الابيض المتوسط للنقد والتقييم.. اما القاعة الرئيسية والتي كانت مخصصة للعروض المسرحية الداخلية، فقد كانت قاعة للعروض السينمائية وحتى لم تكن مجهزة بالوسائل المسرحية.. وكانت المفاجأة لنا كبيرة.. قاعه واحده فقط؟.. ودب الخوف في عروقنا عندما تسلمنا برنامج العمل فقد كان الوقت المتاح لنا للتحضير لا يتعدى التسع ساعات واذا اخذنا بعين الاعتبار بان علينا ان نحول هذه القاعة الى قاعة مسرحية فان هذه الساعات التسع لن تكفي.. وبدأنا العمل مع الطاقم الاسباني في ساعات الصباح الاولى.. وكنا نصارع الوقت ونتحرك بسرعة فائقة في جميع الاتجاهات.. وابى الحظ الا ان يدير لنا ظهره فقد امطرت السماء وابلا من الحجارة الثلجية وزخات من الامطار الموسمية.. وكان ان تشابكت اسلاك الكهرباء في البلدة وسطع ظلام دامس سرق منا اربع ساعات كاملة كانت شبه مصيرية، وخيل الينا بان عرضنا لن يتم في تلك الليلة، خصوصا وان مسرحية "موتى بلا قبور" التي نشارك بها تحتاج الى اضاءة خاصة يعتمد عليها العرض الفني.

ولكن التصميم على انجاز ما جئنا من اجله جعلنا نتحدى الزمن وعملنا بسرعة فائقة وبدون توقف وعرضنا المسرحية في الموعد المحدد وامام الجمهور الاسباني الذي استقبلنا في نهاية العرض بحفاوة وتصفيق كبيرين ازال من نفوسنا واجسادنا ما كابدناه من قلق وعناء، وتهافتت علينا جموع المهنئين وعلى راسهم رئيس واعضاء المجلس البلدي، حتى خلنا انفسنا لوهلة قصيرة باننا في القدس بين اهلنا وجمهورنا، وتعزز هذا الشعور اكثر فاكثر عندما قمنا في صبيحة اليوم التالي بتلبية دعوة السيد ميكيل رئيس البلدية للزيارة في مقر عمله حيث قام واعضاء مجلسه باستقبالنا وتهنئتنا من جديد وطلب التعرف بنا عن قرب.. وكان لقاء حميما تبادلنا فيه الكلمات الرسمية واحاديث كثيرة جانبية تعرفنا من خلالها على مدى حب وتقدير هذه البلدة "ممثلة برئيسها" لشعبنا الفلسطيني ولقضيته العادلة.

كانت الايام التي تلت هذا اللقاء.. ايام اعياد فنية خالصة، ففي ساعات النهار كانت تدور حلقات النقد والندوات والمحاضرات الفنية في المركز الثقافي، وفي ساعات الليل كانت تقوم العروض الفنية، حيث كانت تستقبل القاعة الرئيسية عرضا او عرضين مسرحيين في كل ليلة بينما كانت تدور العروض الموسيقية والبهلوانية والايمائية بالهواء الطلق وفي الساحات العامة، وعلى مدى عشرة ايام كاملة.. عشنا فيها لحظات فنية غنية بالخلق والابداع سرقت منا نعوم الوطن ومتاعبه ودفعت بنا الى حافة الخدر

Digitized by Birzeit University Library

والنشوة، وكانت اعيننا تتسابق الى تصوير وطبع وتخزين ما نشاهده لحظة بلحظة. ولكن لكل شيء نهاية والنهاية كانت مثل البداية.. تجهيزات سفر واوراق خروج وتحقيقات واذلالات وتفتيش حقائب ونظرات حقد واتهامات واشعاعات بنفسجية واختام حمراء تذكرنا بدمغة عجول الكاوبوي.

الفرق والمسرحيات التي شاركت في مهرجان موتريل

١- مركز الاندلس المسرحي.
شارك بمسرحية: اوقات الاشباح.
تأليف: الفاريس كانتيرو.
اخراج: ميكيل ناروس

٢- فرقة المسرح الوطني في تونس.
شاركت في مسرحية: وَنّاس القلوب.
تأليف واخراج: محمد ادريس.

٣- مسرح العرائس في الاندلس.
شارك بمسرحية: انتقال.
تأليف واخراج: جماعي.

٤- مسرح الاسطبل في صقليا.
شارك بمسرحية: يوميات موت معلن.
مستوحاه عن رواية بنفس العنوان.
للكاتب: غابرييل غارسيا مركيز.
اخراج: سلفادور تافورا.

٥- مسرح الاصدقاء. استانبول تركيا.
شارك بمسرحية: مرحبا "يوميات ناظم حكمت".
اخراج: جينو ايركال (ايركال).

٦- مسرح فول راس - مقاطعة كتالونيا - اسبانيا.
شارك بمسرحية: اشياء غريبة.
اخراج وتأليف: جماعي.

٧- المركز العربي الاسباني.
شارك بمسرحية: يرما
تأليف: فيدريكو غارسيا لوركا.
اخراج: عربي واسباني مشترك.

تمثيل: طلاب معهد الفنون المسرحية في المغرب.

٨- مسرح الفريدي - ايطاليا.
مسرحية: كارميلا وباولينو "منوعات ناعمه جدا"
تاليف: سانشيز سنيستيرا.
اخراج: انجلو سافيللي.

٩- الفرقة المسرحية الفلسطينية - الاردن.
شاركت بمسرحية: المجنزرة الامريكية/مكبث.
تأليف واخراج: الدكتور جواد الاسدي.

١٠- فرقة مسرح الورشة الفنية - القدس.
شاركت بمسرحية: موتى بلا قبور.
تأليف: جان بول سارتر.
اخراج مازن غطاس.

١١- مسرح بلا ستيناس قولانس - فرنسا.
شاركت بمسرحية: المارد الغريب.
تأليف واخراج: جماعي.

بالاضافة الى فرق السيرك والبهلوانات التي شاركت في عروض خارجية في الهواء الطلق وهي:

مسرح السيرك: اسكرلاتا مقاطعة كتالونيا اسبانيا.
مسرح اكساركسا: مسرحية نار البحر .. فالنسيا اسبانيا.
مسرح بوني وكاروللي: موسيقى - كتالونيا - اسبانيا.
مسرح تاريما: مسرحية ما يجب قوله في التلفزيون - اسبانيا.
مسرح ينباتيللس: مسرحية اعمال السيد فريس - اسبانيا.
مسرح بيكور: مسرحية نافتالينا - اسبانيا.

Digitized by Birzeit University Library

السينما الجيدة .. تخلق جمهوراً "جيداً"

بندر سلطان

السينما، او الفن السابع، تشكل اليوم، احد اهم الوسائل الثقافية، والتي من خلالها، يمكن تجسيد الواقع بكل ابعاده، وطرح القضايا الساخنة، التي تعيشها الفئات المختلفة، وان كان البعض لايزال ينظر الى هذا الفن باستخفاف، ولا يعطونه حقه، فان ذلك يعود الى عوامل عديدة، تكمن في المستوى الفني، والاداء الجيد، وكيفية تعامل القائمين عليه، مع الشكل والمضمون.

مصر، وهي الرائدة في هذا المضمار: انتجت الاف الافلام السينمائية والتلفزيونية، دخل بعضها مجال المنافسة العالمية، وظل بعضها يراوح في دائرة ضيقة، تقوم اساسا على مبدأ وفهم رخيصين.

وان كنا نتفق على ان المادة الجيدة، تخلق جمهورا جيدا، وهي كذلك فعلا، فان تاريخ السينما العربية، حافل بالعديد من الرموز، الذين استطاعوا الارتقاء بهذا الفن، الى مستوى جيد، وقدموا اعمالا تستحق التوقف عندها، على الرغم من تأثر هذا الفن، بالحقبة النفطية، ودخول السوق وفق معايير المنتجين، والذين في غالبيتهم، لا يمتون بصلة لعالم الفن، وينظرون اليه، كوسيلة للاستثمار، فحتى تجد بضاعتهم رواجا في دول النفط وهي المستهلك الاكبر لمثل هذه البضاعة - تدفقت على ستوديوهات التصوير، اعمال هابطة، لا لون لها ولا طعم ولا رائحة، وللتدليل على ذلك، يكفي النظر الى الافلام التي تنتجها شركات الانتاج السينمائي العديدة، والتي اتخذت من قبرص مقرا لها، بعد تعذر العمل في هذا المجال على الاراضي اللبنانية، طوال خمسة عشر عاما، ودخول «تجار السينما» في مضاربات شديدة، ادى الى اتفاق غير مكتوب على استغلال الفنان الى ابعد الحدود، فالمنتج يرسل احد «المقاولين» الى مصر، ليساوم على اجر الفنانين بحيث يصل احيانا الى اقل من عشرة الاف دولار للبطل او الادوار الرئيسة، ويتم تصوير الفيلم في مدة قد تصل احيانا اسابيع معدودة، وهذا من شأنه ان يؤدي الى تخريب الذوق الفني، ومحاصرة الفنانين الجيدين، ثم يقوم المخرج بحذف كل ما يتنافى والعادات الخليجية، فالام مثلا تلتقي ولدها الضائع

Digitized by Birzeit University Library

منذ خمسة عشر عاما، دون ان تقبله او تحتضنه، ممنوع الامساك باليد، ممنوع اجتماع رجل وامرأة في مكان واحد، بدعوى وان الشيطان سيكون ثالثهما» وسلسلة طويلة من الممنوعات، تجعل الفيلم غير واقعي، وبعيدا عن المنطق في كثير من مشاهده، ولتغطية المساحة المطلوبة، يضطر المخرج الى اطالة مشاهد لا لزوم للاطالة فيها، كل ذلك من اجل خاطر المنتج، وللتسهيل عليه، في ترويج بضاعته.

من ناحية ثانية، فان الهوامش المسموح بها، لاتزال ضيقة، خصوصا فيما يتعلق بالسياسة، فعلى سبيل المثال، مسلسل «رأفت الهجان»، كان من الممكن ان

محمود عبد العزيز

يكون نجاحه اكبر، لو لم يتدخل المنتج -وهو قطاع عام- في كثير من المشاهد.

من هنا نستطيع ان نتلمس اتجاهات السينما العربية، وخصوصا المصرية، وهي التي تحتل المكان الاول في هذا المجال، حيث طغت الحقبة النفطية ولاتزال - على معظم الافلام المنتجة-.

السينما والسياسة

حاول بعض المخرجين، اخراج افلام سياسية، تعالج عددا من القضايا المركزية في العالم العربي، ولا شك في ان سلسلة الافلام التي اخرجها يوسف شاهين، كانت من اهم هذه الافلام، والتي احتلت ولاتزال، مكانة مرموقة في عالم السينما العربية والدولية، ومن هذه الافلام -الارض- -اسكندرية ليه- -اسكندرية كمان وكمان- -حدوتة مصرية- -عودة الابن الضال- -اليوم السادس- وغيرها، وهي افلام يقف يوسف شاهين على رأسها، مع اليسار والقوى الثورية، محاولا تلمس طريقه الى خلق سينما جادة فاعلة ومؤثرة وليس مجرد تسلية، وترتكز معظم افلام يوسف شاهين على رفض القمع باشكاله المختلفة، والبحث عن سبل لتحطيم الخوف الكامن في النفوس، ومحاولات يوسف شاهين هذه، لتأكيد انتمائه اليساري، كانت تبدو احيانا طفوليه وساذجة، وربما كانت ظروف الرقابة تفرض عليه احيانا، عدم الذهاب بعيدا في طرح افكاره للخلاص من واقع لا يرضيه، كما لا يرضي الاغلبية الساحقة من الناس، لكن المشكلة هنا، تبقى في اطار الفرد، ولا تتعداه الى الحل الجماعي، القائم على الحل الديمقراطي، المستند الى المجموع، او الجماعة، وهكذا، فان افلام يوسف شاهين عموما، تظل تصويرا للتاريخ وتكراره، بواقعية ناجحة، لكنها تحتاج الى معالجة اكثر نضجا، واكثر التصاقا بالبنية التحتية، والرؤية غير الطفولية، التي تشوبها النزعة الفردية للانتقام، وتحقيق العدالة والامن الاجتماعي، عن طريق سهل، او هكذا

Digitized by Birzeit University Library

يبدو سينمائيا.

حتى الافلام، التي تناولت او عالجت بعض قضايا الفساد السياسي والاداري في مصر، والعالم العربي، لم تخرج هي الاخرى عن اطارها، المسموح به رقابيا، فكل شيء فاسد، ما عدا رأس الهرم، بينما الحقيقة تقول عكس ذلك، الا ان احدا لا يجرؤ على المس براس الهرم فالرقابة لا تسمح بذلك، من جهة، كما ان التعرض لرأس الهرم، سوف يحول دون السماح لفيلم كهذا، بالعرض هناك من جهة ثانية.

وعلى الرغم من ان العالم العربي، يزدحم بالموضوعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي لم تعالج سينمائيا حتى الآن، لاسباب تتعلق بالرقابة، الا ان بعض المخرجين الجادين، والمخلصين نجحوا في وضع يدهم على بعض هذه الجروح، لكنهم لم يذهبوا بعيدا في معالجتها للاسباب آنفة الذكر، ومن هؤلاء، المخرج محمد فاضل، في فيلمه المعروف -ليلة القبض على فاطمة-. كما ان السينما المصرية بالذات، افرزت عددا محترما من الفنانين الجادين الذين نجحوا في تبوء مركز مهم، في عالم السينما، ومنهم نور الشريف، عزت العلايلي، ليلى

علوي، مديحة كامل، فردوس عبد الحميد، صلاح السعدني، محمود عبد العزيز، محمود ياسين وغيرهم

فالموضوعات الاساسية، لاتزال بعيدة عن المتناول في السينما العربية، واذا ما تطرق بعض المخرجين او المنتجين، فان تناولهم كان بعيدا عن المستوى المطلوب، لاسباب مادية، ورقابية وغيرها، فالمخرج العراقي قاسم حول، اختار قصة غسان كنفاني المشهورة، عائد الى حيفا، موضوعا لفيلم اخرجه قبل سنوات، لكن مبلغ مئة الف دولار، -تكاليف الفيلم- لا تكفي لاخراج قصة عظيمة، في فيلم عظيم، ولذا جاء الفيلم متواضعا، بينما قصته عمر المختار، اخرجت في فيلم عالمي اخرجه احد المخرجين العرب - مصطفى العقاد - لكنه تكلف ملايين الدولارات، غير ان هذا المبلغ لم يذهب سدى، حيث قدم المخرج السوري مصطفى العقاد فيلما بمستوى عالمي، ولدينا من الموضوعات، ما يستحق الانفاق عليها، وبرايي لا خوف على ضياع ما ينفق، فالمادة الجيدة، والعمل الجيد، يستحق التقدير، والجمهور اصبح على قدر من الوعي، يكفي للحكم على الاعمال الفنية، سلبا او ايجابا، والبضاعة الجيدة، تجد المشترين الجيدين ايضا، من هنا، لا بد من الاشارة الى الدور الهام، الذي كان من الممكن، او من المفروض ان يلعبه القطاع العام، اذا توفرت النوايا المخلصة والصادقة، لصناعة سينمائية عربية محترمة، اذ لا يمكن الاعتماد على القطاع الخاص، وحده.

وهذا يدفعنا الى الرد على كثير من الاراء، التي تدين الذوق الفني العام، لدى الجمهور، على نحو، ان شعبنا العربي غير قارىء مثلا، فاني اختلف مع هؤلاء، لان الفن الجيد، يخلق جمهورا جيدا، وهذا ما تاكد من خلال التجربة، ومثلما هو الفن بشكل عام، كذلك السينما بشكل خاص، وكذلك الاغنية، والمسرح ... الخ. وهو ما نأمل ان نتحدث عنه في مرات قادمة.

لا تصوير للجزء الثالث من "رافت الهجان"

اخر اخبار مسلسل "رأفت الهجان" الشهير تقو ان مشادة كلامية ساخنة وقعت مؤخرا بين بطل المسلسل محمود عبد العزيز وممدوح الليثي رئيس قطاع الانتاج في التلفزيون المصري ادت في نهاية الامر بمحمود عبد العزيز الى الاعتذار عن تصوير الجزء الثالث من المسلسل.

رفعت الجمّال

القصة تتلخص بان ممدوح الليثي اتصل بمحمود عبد العزيز يسأله عن اخبار المسلسل مما ادهش محمود الذي رد عليه قائلا: يجب ان اوجه انا هنا السؤال لك فانا اصل بك كل يوم ولا حياة لمن تنادي.. فانزعج الليثي وسارع الى ارسال السيناريو الى الممثلين وطالبهم بحفظ ادوارهم في اسرع وقت للمباشرة في التصوير.. محمود عبد العزيز اعتذار لان الوقت ضيق ولا يسمح بانجاز عمل جيد.

Digitized by Birzeit University Library

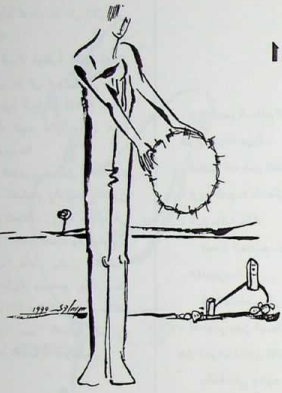

٣ قصص قصيرة جدا

تيسير عبد العزيز

(١)

مارك

المرأة التي تجاوز عمرها الاربعين عاما بقليل.. تفقدت ما تبقى في حقيبة يدها الجلدية من ماركات شرقية!

سددت فاتورة المياه والكهرباء.. صففت شعرها عند كوافيره شابه في وسط المدينة..

ابتاعت رغيفا من الخبز وقارورة حليب مبستر وعلبه سجائر محلية...

وفي طريقها الى البيت.. دلفت الى مقهى مظلم في قبو احدى البنايات العتيقه.. ابتسمت للنادل وطلبت فنجانا من القهوة وقطعة من "الجاتو"...

وحين وقفت امام باب شقتها تبحث عن المفتاح في حقيبتها الجلدية.. اصطدمت يدها بقطعة معدنية... اخرجتها واخذت تقلبها دهشة وعجبا!!

مرت لحظات صمت ثقيلة قبل أن يدور المفتاح في القفل... دخلت بخطوات وجله حائرة وكأنها تدخل عالما جديدا والقطعة المعدنية لا زالت في يدها تقبض عليها بشدة...

وحين القت بجسدها الخائر القوى على سريرها.. رفعت تلك القطعة امام ناظريها وابتسمت:

لم يبق لهذا المارك من قيمة سوى قيمته كشاهد اثبات امام محكمة التاريخ!!

(٢)

مباراة

جلس يتابع مباراة الفريق القومي مع منتخب انجلترا في مونريال ايطاليا ٩٠...

تارة ياخذه الحماس فيصرخ مشجعا.. وتارة "يلوى بوزه" قاذفا اقذع الشتائم..

حسام حسن يلعب باعصابه ويغيظه عبده الكاس.. يشتاط غضبا حين تخطفه الكره شباك شيلتون العجوز.. تدخل زوجته حاملة كوبا من عصير الليمون.. تجلس بجانبه تنتهز فرصة كي تختلس منه لحظات انفراج اساريره وتبدا في "موشحها اليومي".. القروش القليلة الباقية لا تكفي لسداد الديون المتراكمة.. والعيد الكبير على الابواب والاولاد ينتظرون فرحته ببطون شبه خاوية واسمال ممزقة تكاد تستر اجسادهم النحيفه... الاسعار ترتفع يوما بعد يوم وصندوق النقد يهدد والحكومة تفكر في بيع القطاع العام بالتقسيط!!

وينتهي الموشح بنشجات بكاء في اللحظة التي يسدد فيها احدهم هدفه في مرمى شوبير فتنطلق صرخة غيظ مكتومة من صدر الرجل... يلطم خده ويصفع زوجته الباكية المتشكية.. لقد خسرنا المباراه وخرجنا من المونديال قبل ان ندخل...

ذهب الى غرفته.. اغلق الباب خلفه بعنف وهستيريه وفي الفضاء لعلع صوت عيار ناري من مسدس اخترق راسه فارداه قتيلا!!

(٣)

مبعوث

تدافعت النسوه بالمناكب امام بوابه المبنى.. في احدى قاعاته المغلقة والمكيفة جدا جلس المبعوث الخاص" يستمع لوجهات نظر مضيفيه من وجهاء وقادة ومحامين.. بين الحين والاخر يعمد المبعوث الى حك جلدة راسه الصلعاء بخنصره حتى يدميها ثم يكشر عن ابتسامه عدم رضى وانزعاج!

المراة الحزينة التي تقعد بجوار الحائط ويدها على خدها كانت تتمتم لنفسها بسخرية مره: جاء يتقصى حقائق ما يدور وراء الكواليس؟! لماذا لا

Digitized by Birzeit University Library

ينزل للحواري والازقة وبرزات الشهداء المفتوحة في اكثر من بيت؟!

المراة الباكية كانت تصرخ باعلى ما في صوتها من حزن وغضب.. اريد ان اعطيه شهادة تثبت انهم قتلوا ولدى عمدا وبدم بارد!!

المبعوث يواصل حك جلدة راسه الصلعاء والفقهاء يتابعون شرح الموقف... رغبة جامحة في النوم تجتاح جسده وفي محاولة للهرب منها يضرب الطاولة المستطيلة بمجامع يده: حسنا اعتقد اننا سنفعل ما نراه ملائما لضمان سير العملية السلمية وتوفير الحماية للمواطنين!

في الوقت الذي كان المبعوث المحترم يلملم اوراقه المبعثرة مودعا مضيفيه من كبار القوم كان جندي ما في مكان ما غير بعيد يطلق قنبله مسيلة للدموع باتجاه عيادة اطفال تابعه لوكالة غوث اللاجئين.

قصه صغيرة للاطفال

الكرسي

عن يب عسقلاني

انتصب المعلم الشاب، وكان شامخا، تلعثم المدير...

خرج صوته ميتا...

- الحمد لله على السلامة... متى خرجت...؟!

- اريد العوده للعمل..

- قدم طلبا بذلك

ضحك المعلم... وتوتر المدير... قال

- القانون...!!

كز المعلم... خرج صوته غضوبا

- اخذوني دون تهمة.. دون محاكمة.. هل تعرف توقيف اداري..؟

هل تعرف قانون الاداري؟

وقذف في وجهه ورقة الصليب الاحمر...

قال المدير

- وماذا استطيع لك...؟

ضغط المعلم على مخارج الحروف، يضع حدا للمراوغة

- اسال الاطفال... الم تصلك رسالتهم...؟

واشار نحو الكرسي... عقلة اصبح اصبح، تهتز به الاسفنجة المنتفخة في قاعدة الكرسي... تأرجح المدير توسل...

- قدم الطلب... عسى ان يكون خيرا.

خرج المعلم... زفر المدير فك رباط عنقه، لم يستوعب الهواء... تمشى حول الكرسي.. لهث.. ولم يستوعب محيط الدائرة... ورأى بؤرة المركز بعيدة المدى... تساءل وذهل "هل كانت دورة الاطفال بهذه السرعه..." وتذكر درسا حضره في احدى المدارس عن قوة الطرد المركزي...

*****

وفي البيت وجد حفيده يصعد الى كرسيه الصغير دون عناء.. داعب الطفل:-

- اعطني الكرسي اجلس عليه.

تساءل الصغير..

- انت بعت الكرسي الكبير يا جدي...؟

بهت الرجل، فيما جلس الصغير على كرسيه، واخرج لسانه لجده...

Digitized by Birzeit University Library

عريس (الزوج)

مؤنسي سميانسكي

ترجمة: محمد ايوب

كان قبيحا جدا، ضخما وسمينا كما الجمل، ولذلك لقبوه بالعريس الجمل، واذا ما قابل اناسا لا يعرفونه فانهم يخافون من وجهه، ولكن الذين يعرفونه يدركون انه بداخل هذا الجسم الخشن والقبيح يوجد قلب طفل صغير، ولاجل هذا كانوا جميعهم يستغلونه، وبعد ذلك يسخرون منه، مع انه لو اراد فانه كان باستطاعته ان يقتل انسانا بضربة واحدة، ولكن العريس لا يرفع يدا على اي انسان.

وهذا الرجل ... الضخم والخشن احب النساء الصغيرات على وجه الخصوص لانهن ضعيفات، ولأنهن رقيقات ولطيفات، وعندما كبر وانتقل الى طور الرجولة، وأخذ يفكر في الزوجة، كان يذهب الى القرى لرؤية البنات، وبعد ذلك توجه الى المدن - الى الرملة - الى يافا - وهناك وجد ضالته بنات المدينة، كن اصغر كثيرا، ابيض كثيرا وارق كثيرا. العريس الجمل قرر ان يأخذ زوجته من المدينة ولكن فتيات المدينة لا ترضيهن النقود التي يمتلكها، فاشتغل عدة سنوات حتى اصبح عمره خمسة وثلاثين عاما، وعندها توجه الى الرملة واشترى له زوجة لا توجد زوجة صغيرة وبيضاء بسعر الف فرنك، وعندما احضر زوجته الى بيته كان سعيدا جدا.

الزوجة الصغيرة كرهت الزوج الضخم والقبيح، فقد كان في نظرها قرويا خشنا، لم تر قلبه الطيب ولم تتبينه، وانما كانت حزينة دائما كانت تصرخ، وفي بيت الزوج لم يمر لحظة هدوء او سلام بالمرة.

لكن الزوج احب زوجته، لم يرسلها للعمل، كان يسكت ويتحمل كل شيء في صمت، ولم يلق بالا للاشياء السيئة التي كان يرددها الجيران والجارات عن زوجته، وعندما كانت تصرخ اليه: اني اكرهك، وتطلب الطلاق منه كان يكتئب كثيرا، ولكنه لم ينبس ببنت شفة.

فقط مرة واحدة حزن الزوج على زوجته.

انجبت له زوجته بنتا، اسماها حليمة، واحبها اكثر من حبه لزوجته، والزوجة كرهته وكرهت بنته، وعندما كانت تقول له: انا اكرهك واكره ابنتك القبيحة، ارتعد الزوج عندما سمع ذلك، ولكنه لم يتفوه بشيء.

وفي احد الايام رأى زوجته تضرب الرضيعة، جاء بسرعة وامسك يد زوجته، لم يشأ ان يفعل شيئا، فقط امسك بها حتى لا تضرب الرضيعة، امسك يدها بقوة حتى انكسرت.

جاء والدا الزوجة، واشطر لان يطلقها، فخسر الألف فرنك التي دفعها، ولم يبق لديه سوى الطفلة حليمة.

أحب الزوج ابنته كثيرا، اعتنى بها كأم رؤوم، وعندما كان يذهب الى عمله كان يأخذ البنت معه، وكان حلمه الكبير ان ينادوه "ابو حليمة" ولكن رجال القرية السيئين لم يرضوا ان يطيب نفسا واصروا على مناداته بالزوج الجمل.

فقط انا الذي كنت ادعوه ابو حليمة، ولذلك احبني وحرس كرمي، وكان يحضر معه حليمة وعندما كان يعتني بالطفلة كانت دموع الفرح تنحدر على وجهه القبيح.

Digitized by Birzeit University Library

آذار

محمد دلة

آذار
يرسم في سماء الوقت دهشته
عصافيرا يلاحقها جنون الاسئلة
فالعمر كل العمر
يسرح كالغمام
يبحر كالغمام
ينام في كف التدفق لا يمزق عشقه
القطب الشمالي المكشر عن اسود
الثلج
او عطش الصحاري في متاهات
الجزيرة
يجتاز كل حواجز التفتيش في الدولة
العدوة والصديقة
دون تأشيرات
يدخل كالرياح
يعود كالبجع المهاجر غابة او دمعة
في رحلة الذرح اللقاء
ورحلة الموت الوداع

*****

آذار
ينفى من طقوس الوقت
في يوم الثلاثين المتوج بالحضور
عيون اطفال تنبيء بانفجار الخوح في
اعماقها
حجرا وزيتا قلب امي
يصبح الشهر المطرز بالندى والنحل
والسجاد ارهابا
بحالة الطقس المرتب/بالامن
بالاطفال
اذ يتحول الحجر الممد في ملاءات
السكون
الى حقول للبنفسج والدوالي
تحمل الاطفال والبسطاء

Digitized by Birzeit University Library

للشهداء في حلل السفر
يصبح الشهر المقدس
خارجا عن قبضه الاموات والقانون
تصحو الارض
من شكل البراويز القديمة
موجة شعثاء
تحلم بالرجال وبالنساء
مخيما
وتضيء في وجع المخاض
ملامح الجرح الموزع بالتساوى
في عيون الارض والفلاحين
وتطل من سفر الجراح على المطر

*****

يتوحد الشهر المطارد بالتراب
ويطلق الحراس حقد الموت والكبريت
القصدير والفولاذ
والشهداء يبتسمون

مرثية عطا الله حمدان

ماجد ابو غوش

مرثية عطا الله حمدان

ويدنو الموت مني
من خلف منعطف
او من تحت زيتونة
ويدنو الموت مني
يلاحق انفاسي ودقات قلبي
ويدنو الموت مني
في هيلة وجه قبيح
- ازرق العينين -
ويدنو الموت مني
وتجتاح جسمي قشعريرة
يدق قلبي دقاته الاخيرة
تومض عيناي ومضاتها الاخيرة
تتحرك اصابعي للمرة الاخيرة
يطلق جوني صرخته الاخيرة
ويدنو الموت مني
يسرق من عيني احلام الطفولة
وجوه اخوتي
وجه امي ووجه ابي
طرقات قريتي
شروق الشمس ومغيبها
ايامي الحلوة الآتية
حلمي ببيت صغير
وامرأة جميلة
الغناء بصوت اجش
على السفوح والتلال المحيطة

انتظار رفاقي لي
ركضي في الشوارع
ثورتي في النقاشات
وسكوني في الامسيات
ويدنو الموت مني
امشي اليه
ويمشي الي
يغرز في قلبي طلقة الموت
ويمضي!

١٩٩١/١/٩

Digitized by Birzeit University Library

الحرية اشتراط الابداع

وسيم الكردي

كثيرا ما يثار مصطلح "الازمة" عند تناول اي حقل من حقول الحياة الانسانية، ويحضر هذا المصطلح اكثر ما يحضر، عندما يكون الحوار دائرا حول الفكر العربي، وتتعدد التأويلات، والتفسيرات، والمسببات، التي تعالج ذهنيا - في الغالب - هذه الحالة الوبائية المنتشرة في الجسد العربي، وفي مستوياته المتعددة، وتكويناته المختلفة، حين تكون "الازمة" تعبيرا عن حالة الانغلاق، والتمترس، والمراوحة، والنكوص، وغياب امكانية التجاوز والانطلاق، هنا تتمظهر "الازمة" كحالة تراجعية، وليست كلحظة الاختمار التي تكون في ذروتها، لتمهد السبيل لانتقالة الى حالة جديدة، تحمل سمة الابداع، وتبشر بما هو ايجابي، ونهضوي، وتطوري.

ويكثر التساؤل حين تكون المحاولة في اتجاه تشخيص "الازمة"، فهل هي ازمة في التفكير، ام ازمة في الابداع، ام ازمة في مساحة الحرية التي تتحرك فيها؟؟

والخروج من الازمة هو الدخول في الابداع، وتحقق الابداع يستلزم ممارسة الفكر، وهذه الممارسة تحتاج الى اخماص والاخماص لا يتحقق الا بالاصطراع، والاصطراع يحتاج الى الحرية، نعم الحرية، الحرية.

اية حرية؟؟.

الحرية الكاملة، غير المنقوصة او المبتورة او المشوشة او المستلبة. الحرية في المشاركة، في الفعل، في التقرير، في ممارسة واعية، غير خاضعة للموروث، وليست متبرئة منه، لا يقسرها الخطاب - مهما اختلف وتنوع - في حدوده، ان كان خطابا اسلاميا، او ماركسيا او وجوديا او ليبراليا.. بل تتحرك في فضاءات لا متناهية من التأويل والاجتهاد، حيث تستوعب التاريخ وعيا وممارسة، وحيث ينبني الفكر مع ابناء التاريخ، ويتراكم المنجز الانساني في حركيته الصعودية، يخفق احيانا وينتكس، ويشع ويتألق في احيان اخرى ويصعد حينما تتجدد الاضافة.

ولا تكون الحرية بما هي حرية، ان تمترست في الذهن، بل يتحقق وجودها وكائنيتها حين تصبح ممارسة ونشاطا، حيث يحقق الانسان فيها وجوده واشتراطات هذا الوجود والتحرك في عملية التطور، ويتحول فيها الواقع ليفضي الى احتياجات الناس ومراميهم.

وكل نشاط انساني يخضع لقوانين خاصة في اطار تشكيل التاريخ، وقد لا يستطيع الناس تشكيل التاريخ كما يريدونه تماما، غير ان نشاطهم يدفعهم الى مواجهة الشروط القائمة الموروثة، فاما المساهمة في تكريسها، والتقوقع فيها، او الانتقال الى شروط جديدة يرمون الى تحقيقها.

ان ما اقوله ليس كلاما نظريا خالصا، وان بدا كذلك، لان ما نحن فيه يحتاج الى امعان النظر والتفكير، صحيح اننا في الارض المحتلة، وعبر السنوات الثلاث المنصرمة، قد حققنا منجزات عديدة، رغم كل التدهور الذي اصاب العالم، من تفكك للعالم الاشتراكي، واحتوائه داخل العباءة الامريكية التي تحاول استيعاب العالم في اطارها. وما اصاب العالم العربي من خراب وتدهور وانقسام. فاصبحنا وحدنا في هذه اللجة المغرقة، نعم هناك انجازات، ولكن في المقابل هناك انتكاسات وتراجعات، في القيم، في الوعي بالتاريخ، في الديمقراطية، في الثقافة، في الابداع.

واستحداث طرائق جديدة، كان يمكن للانتفاضة التي هي جوهرها فعل شعبي عام، ان تساهم في تحقيقه، لو اننا استفدنا منها في صياغة فكر جديد ديمقراطي، يستجيب للمتغيرات الحادثة، ويسهم في استشراف المستقبل.

وتحتاج صياغة مثل هذا الفكر اول ما تحتاج الى الحرية، حرية الافراد والجماعات، والحرية تستدعي الديمقراطية، وما هو راهن لا يحقق ذلك، فنحن بحاجة الى فاعلية انسانية نشطة، وعلى مستويات عدة:

١- الوعي بالتاريخ، واعادة استقرائه، واكتشاف نقاطه المضيئة، وتوظيفها في خدمة الراهن والمستقبلي، بما في ذلك وعي التاريخ الفلسطيني القديم، وخصوصا العصر الكنعاني، هذا العصر الغائب عنا، وهذه ليست دعوة الى "الكنعنة" بل ان ذلك التاريخ هو جزء من تكويننا وثقافتنا وحضورنا الانساني.

٢- ادراك العلاقة بين ما هو فلسطيني، وما هو عربي فالخاص لا يلغي العام، بل يعززه ويغذيه ويغنيه.

٣- التفاعل الحي مع المنجز الحضاري الانساني دون الانسياق له، ومحاكاته، بل في اطار ادراكه، واستخلاص ما هو ايجابي فيه.

٤- الانتقال من "الاسطرة" والخرافة الى العقلانية.

٥- الدخول في المناطق المحرمة التي تزداد مساحتها، والخطوط الحمراء التي تمتد وتطول، ونقاشها، واختبارها، والخروج مما هو "تابو" في ذهنيتنا، وسلوكنا.

٦- ادراك ان الحرية لا تتحقق الا بديمقراطية على مستوى الافراد والجماعات، وانها لا تاتي بقرار، بل انها تجربة حية، تؤكدها الممارسة، ويرسخها الفعل.

٧- حرية الانسان في الفكر والتفكير، والممارسة الفاعلة في الواقع، وضرورة الصراع الفكري المدار في اطار حق الجميع في التعبير عن انفسهم.

ومن اجل ذلك كله هناك دعوة لالتقاء كل المستنيرين في مجتمعنا، والذين يرون في الديمقراطية اساسا جوهريا لتحقيق ما هو اساسي في تطورنا، وانبنائنا، كمجتمع حي، فاعل، متطور، يحقق لانساننا انسانيته، انها دعوة لتجمع ديمقراطي يلتف حول قضايا معينة، مخصصة، يضم في اطاره كل من يعطي العقل مكانته، ويعطي الممارسة حريتها في الفعل، والحرية، والاختبار.

Digitized by Birzeit University Library

يا بخت من زار!

Digitized by Birzeit University Library